نادي الطائف الأدبي

ديوان

أحيحة بن الجلاح الأوسي الجاهلي

منصور

دراسة جمع تحقيق

دكتور حسن محمد باجودة

من مطبوعات نادي الطائف الأدبي

تلفون ٢٣٧٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

لسان العرب

مقدمة

من المعروف أنه كانت في العصر الجاهلي ، بعض الفنون الأدبية المزدهرة ، ويأتي الشعر في مقدّمتها . وهناك أسباب متعدّدة جعلت الشعر يزدهر في تلك الفترة ، ومن أهمها الحروب والمعارك الطاحنة التي خاضها العرب مع بعضهم البعض ، بالإضافة إلى الموهبة التي تختص بها بعض القبائل دون غيرها . وللحروب والموهبة أثرهما في تفوّق يثرب في الشعر قبل الإسلام .

هذا الفيض من الشعر كانت تختزنه الذاكرة وتعيه الصدور وتلوكه الألسنة ولم يدون ابتداء إلاّ في القرن الثاني للهجرة . ثمّ إنّ هذا الشعر قد ضاع كثير منه بسبب الاعتماد على الذاكرة ولأنّ العرب في أيام الفتوحات ذهلوا عن الشعر وغاب الكثير من رواته قبل وقت التدوين .

وعلى الرغم من موهبة قول الشعر التي حبي بها العرب وسهولة النظم في اللغة العربية بالقياس إلى غيرها من اللغات التي يقل فيها عدد المفردات ويكثر عدد حروف الكلمات فإنّ الكثير من

دواوين الشعراء قد فقد بسبب النكبات التي منيت بها الأمّة الإسلاميّة . إنّ وفرة المفردات المتقاربة المعاني في اللغة – ولا أقول المترادفة – يسهل على الشاعر عملية الاختيار والانتقاء وأنّ قلّة عدد حروف الكلمة في اللغة العربية ، إذ لا تزيد بحال عن سبعة أحرف ، يجعل الشاعر حرّ التصرف قادراً على تضمين الشطر أو البيت المعاني الكثيرة . ولكن على الرغم من كل ذلك ما بين أيدينا فعلا من دواوين الشعراء قليل جداً بالقياس إلى عددهم الفعلي . ويكفي أن نعرف أنه أمكن احصاء مايزيد على مائة وثمانين شاعراً أنجبتهم المدينة المنوّرة حتى بداية العصر العباسي ولكنّ الذي بين أيدينا من دواوين مخطوطة قليل جداً .

ويؤسفني أن أقول أنّ هذا هو الذي حدث فعلا لديوان شاعرنا أحيحة بن الجلاح الأوسيّ . وبهذه المناسبة أودّ أن أقول أنّ المجهود الذي يمكن أن يقدّم في سبيل جمع شعر شاعر قديم مجهود لا يمكن أن يكون قليلا بحال . والسبب في ذلك هو أن الكتب القديمة لم تكن تعرف التخصص بمعناه الآن فكل كتاب تقريباً من حق الباحث أن يظنّ أنّ كثيراً من الشعر الذي تتضمنه

غير منسوب لقائليه . فأضعف الإيمان أن نقرأ كل النصوص الشعرية وأن تعرف الملابسات التي أحاطت بها .

ويمكن لي أن أقرر حقيقة هامة هي أن الحصيلة الشعرية التي

يحصل عليها الباحث قد لا تكون مكافئة للمجهود الذي يبذل. وهذا الشيء لا يمكن أن يقال عن شاعرنا ومع ذلك فهو أسعد حظاً من كثير من الشعراء غيره .

وبعد أن حصل عندي اعتقاد بأن الشعر الذي بين يديّ له يمكن أن يكون مرضياً إلى حدّ ما رتبته ترتباً أبجدياً ، ذاكراً مصادر كل قصيدة أو مقطوعة ومناسبتها أو مناسباتها وأسماء الذين ينسب إليهم النص أو بعضه إن اختلفت المصادر في كل ذلك ، مسجّلا اختلاف الروايات ، شارحاً الغامض وأسماء الأماكن غير المعروفة مغيّراً أوضاع بعض الأبيات مع تبيين السبب في ذلك .

هذا وقد قدمت بين يدي الديوان دراسة للشاعر تناولت الجوانب المتعدّدة لشعره سبقتها نبذة بسيطة عن حياته .

والشيء الذي أودّ أن يكون واضحاً هو أنّ هذا الديوان لا يمكن لي بحال أن أدعي فيه الكمال أو مايقاربه . فمن يدري ؟ علّنا في يوم من الأيام نجد مخطوطة ، وقد نجد في كتب نصوصاً لم نوفق في العثور عليها حتى الآن . وعلى كل حال فأنا لم آل جهداً في هذا المضمار والله من وراء القصد ، وما توفيقي إلا بالله .

مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
د. حسن محمد باجودة

فهرست الموضوعات

أولاً

أحيحة بن الجلاح وشعره

منصور

أحيحة بن الجلاح

منصور

نسبه وحياته :

هو أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبي بن كلفة بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس(١) يكنى أبا عمرو(٢) وكان سيّد الأوس في الجاهلية(٣) معروفاً بالبخل مع ثرائه(٤) ويروى أنّه كان إذا هبّت الصّبا طلع من أطمه ، فنظر إلى ناحية هبوبها ، ثمّ يقول لها : هبي هبوبك ، فقد أعددت لك ثلاثمائة وستين صاعا من عجوة ، أدفع إلى الوليد منها خمس تمرات ، فيردّ عليّ منها ثلاثاً ، أي لصلابتها ، بعد جهد ما ، يلوك منها اثنتين(٥) فهذه القصّة تدل على أنّنا إزاء نفس شاعرة وبخيلة في نفس الوقت . انّ ريح الصّبا محبوبة دائماً ، ولا غرابة أن يشترك أحيحة في حبّه لها مع غيره ، ولكنّ الغرابة هو أن تجود نفس هذا الشحيح بهذه الكميّة من التمر ، ومع ذلك فقد أفسد الحرص والحذر عليه هذه الشاعريّة .

---

(١) الخزانة ٣٢٦/٣ وغ ٣٧/١٥ أحيحة : تصغير الأحام بالضم وهو العطش . والجلاح : السيل الجراف .

(٢) الخزانة ٣٢٦/٣ وغ ٣٧/١٥ وكنى الشعراء لابن حبيب ٢٩٤ .

(٣) الخزانة ٣٢٦/٣ .

(٤) غ ٤٧/١٥ والعقد ٣١/٣ .

(٥) كامل المبرد ٧٨٠ .

كان أحيحة رجل عمل ونشاط وكان رجلا صنعاً للمال ، شحيحاً عليه ، يبيع بيع الرّبا بالمدينة ، حتّى كاد يحيط بأموالهم وكان له تسع وتسعون بئراً ، كلها ينضح عليها ، وكان له بالجرف أصوار(١) من نخل(٢) كما كان له أطمان المستظلّ والضّحيان (٣) والأخير « بالعصبة في أرضه الّتي يقال لها الغابة بناه بحجارة سود وبنى عليه نبرة(٤) بيضاء مثل الفضّة ، ثمّ جعل عليها مثلها ، يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه ، وكانت الآطام هي عزّهم ومنعتهم وحصونهم الّتي يتحرّزون فيها من عدوّهم (٥) » .

عرف أحيحة ، خاصّة في عنفوان شبابه بحبّه للخمرة وميله للّهو(٦) كما أنّ التجارب قد صقلته فكانت آراؤه سديدة حتّى انّه كان يقال « أنّ مع أحيحة تابعاً من الجنّ يعلمه الخبر لكثرة صوابه ، لأنّه كان لا يظنّ شيئاً فيخبر به قومه إلاّ كان كما يقول(٧) » .

كان أحيحة ، كما عرفنا ، سيّد الأوس في الجاهليّة ، وهناك

---

(١) أصوار ، جمع صور بالفتح ، وهو النخل الصغار أو المجتمع ، والمعروف أن في جمعه « صيران » .
(٢) غ ١٥/٤٧ .
(٣) غ ١٥/٤٨ .
(٤) النبرة : كل شيء مرتفع فوق شيء .
(٥) غ ١٥/٤٨ .
(٦) أنظر غ ١٥/٣٩ ، ٥٢ .
(٧) غ ١٥/٣٩ .

الكثير من الصفات التي تفترض في هذا السيّد ، وتأتي الشجاعة في المقدمة بسبب الحروب التي كان يخوضها الأوسيّون مع جيرانهم من الخزرج واليهود أو مع غيرهما . كما كان يلجأ إليه غير قومه في الملمّات يطلبون منه أن يمدّهم بالسلاح والخيل ، كما هو معروف عن قيس بن زهير العبسي الذي كاد أحيحة يساعده عسكرياً ضدّ بني عامر لولا أنّ خالد بن جعفر العامريّ قاتل زهير بن جذيمة والد قيس(١) كان من قبل قد مدح أحيحة في شعر يقول فيه (٢) :

إذا ما أردت العز في آل يثرب
فناد بصوت : يا أحيحة تمنع
رأيت أبا عمرو أحيحة جاره
يبيت قرير العين غير مروّع
ومن يأته من خائف ينس خوفه
ومن يأته من جائع الجوف يشبع
فضائل كانت للجلاح قديمة
وأكرم بفخر من خصالك الأربع

وقد توفى أحيحة سنة ٥٦١ م(٣) والمعروف أنه ولد سنة ٤٦٤(٤) .

---

(١) أنظر غ ٥١/١٥ .
(٢) غ ٥١/١٥ .
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجي زيدان ١٤٩/١ .
(٤) البخلاء ص ٣٩٠ .

شعر أحيحة

إنّ صفة البخل أبرز الصّفات الّتي عرف بها أحيحة ، وهي صفة لا يحبّها العربيّ عادة خاصّة في تلك الفترات الّتي كان فيها الكرم من أجمل الصفات الّتي يتحلّى بها . وبما أنّ جزء طيباً من شعره في البخل ، لذلك لا نكاد نجد شيئاً من شعره فيه ينسب إلى غيره ، إذ اتضح في الأذهان ارتباط البخل به ، ثم ان شعر البخل نفسه لا يغرى الذين يسطون على الأشعار بنسبة هذا الشعر إليهم . ونستطيع إذن أن نقول بسهولة : أن صفة البخل البغيضة هذه هي السبب في قلة الخلط في نسبه شعر أحيحة . ولو فرض أنّ هناك خلافاً في نسبة بعض الشعر فإنّ ذلك قليل ، وهو ليس في شعر البخل على أيّ حال . ومن ذلك هذه المقطوعة الّتي جاءت في الأصمعيات منسوبة لأحيحة :

إذا ما جئتها قد بعت عذقا ... تعانق أو تقبّل أو تفدّى

أهنت المال في الشهوات حتى ... أصابتني أسيفا عبد عبد

فمن نال الغنى فليصطنعه ... صنيعته ويجهد كلّ جهد

أعلّمكم وقد أرديت نفسي فمن أهدى سبيل الرشد بعدي

وقد جاء البيت الثالث منها مع آخر في حماسة البحتري ، وهو :

ولا يمنعه من حمد وشكـــر ولا يبخل به عن فعل رشد

منسوبين للشاعر الأوسيّ الجاهليّ ابن الأسلت . والحقيقة أن البيت الثالث يمكن أن يصدر من أحيحة ، الحريص على المال وتنميته ، كما يمكن أن يصدر من أبي قيس بن الأسلت ، إذ لا يمتنع في العرف أن ينصح الكريم الآخرين أن يحرصوا على مالهم ويحتفظوا به . ولكنّ بيت الحماسة الثاني لا يمكن أن يصدر إلا من ابن الأسلت . ويبدو أن التلاحم قويّ بين بيتّي حماسة البحتري ، كما يبدو أن لأولهما مكانة الطبيعي في مقطوعة الأصمعيات . وعليه فالبت في نسبة هذا البيتّ لهذا أو لذاك أمر ليس سهلا .

وهناك المقطوعة المكونة من ثلاث أبيات والتّي مطلعها :

إذا جمادى منعت قطرهـــا زان جناني عطن مغضف

وقد حصل خلط في الأذهان بنسبتها لأحيحة وابن الأسلت وقيس بن الحطيم . وسبب هذا الخلط في اعتقادي هو الاعتماد على الذاكرة ساعة التدوين فنسبتها إلى هؤلاء الشعراء الأوسيين الذين عاشوا في العصر الجاهلي . والراجح أن هذه المقطوعة لأحيحة .

وهناك هذا البيت :

ليت حظي من أبي كــرب أن يــردّ خــيره خبــله

وهو ينسب في غ ١٥/٣٩ لأحيحة بينما ينسب في الروض (٢٦/١) لعجوز من بني سالم اسمها جميلة قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبّع وهو أولى به أن ينسب لامرأة من أن ينسب لرجل شجاع كأحيحة :

والبيت :

يا بــني التخوم لا تظلموها انّ ظلم التخوم ذو عقّال

من قصيدة في خمسة عشر بيتاً تنسب لصرمة بن أبي أنس . وهي هموماً لا تمثل روح أحيحة البتّة .

والبيت :

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً

سكن المدينة عن زراعة فــوم

ينسب في الروض (٢/٤٥) لأحيحة وقيل هو لأبي محجن الثقفي . وهو لا يمثل نفسية أحيحة ولا ننسى أن « المدينة » اسم إسلامي وأحيحة جاهلي .

وشعر أحيحة الذي وراء ذلك تبدو فيه ظواهر متعدّدة هي (١) بخل وشحّ (٢) نظرة مادّية بحتة (٣) روح عسكرية (٤) شخصية قوية (٥) إندفاع وطيش (٦) تجربة وحنكة (٧) رثاء (٨) بيئة زراعية (٩) المجتمع اليثربيّ . وسنتناول بالدراسة كلا على حدة .

بخل وشح

كان أحيحة لحرصه على جمع المال وعدم التفريط في شيء منه يصطدم مع زوجته ويدخل دائماً معها في شجار . يقول :

إذا ما جئتها قد بعت عذقا … تعانق أو تقبّل أو تفدى
أهنت المال في الشهوات حتى … أصارتني أسيفا عبد عبد
فمن نال الغنى فليصطنعه … صنيعته ويجهد كلّ جهد
أعلمكم وقد أرديت نفسي … فمن أهدى سبيل الرشد بعدي

فهو يشير إلى زوجته التي لا ترضى عنه إلاّ إذا جاءها بمال . ولا يتم ذلك له إلاّ إذا باع شيئاً ممّا ينتجه النخيل . فإذا تمّ لها ذلك قابلته معانقة له أو قامت بتقبيله أو فدّته بنفسها . ولكنّ شاعرنا هل هو راض عن كلّ ذلك؟ . وهو ولا شك راض عن فرح زوجته وغبطتها وعن تصرفها من أجل ذلك ، ولكنه ، وبكل تأكيد ، ليس راضياً عن ارغامها له على العبث بماله وتبديد ثروته . وهو في نفس الوقت لا يملك أن يعصي لها أمراً أو يرفض لها طلباً . إنّه راض ساخط ، ويبدو أن سخطه هنا أشدّ من رضاه ومن ثم هو يقرّر ذلك المستوى المنخفض الذي وصلت

إليه ثروته والوضع المزري الذي انتهت إليه بسبب انسياقه وراء شهواته وانغماسه فيها حتّى صار على حدّ زعمه « أسيفا عبد عبد ».

إنّ هذا الألم الذي عضه بسبب تبذير ماله والذي أرغم عليه يدفعه إلى أن ينصح الآخرين من ذوي الثراء بأن يحرصوا على أموالهم رأن يبذلوا غاية جهدهم في سبيل تنميتها .

إنّه وهو الذي ينصح الآخرين ولا ينتصح ليتألم من موقفه السّلبي يقول :

أعلّمكم وقد أرديت نفسي فمن أهدى سبيل الرشد بعدي

والذي يلاحظ هو أن أحيحة كان مفتوناً بنخله حريصاً على بساتينه جاهداً في إصلاحها وتنميتها . وكل هذا غرضاً يرمى . وقد صرح هو نفسه بذلك حيث يقول :

يلومونني في اشتراء النخيـــل قومي فكلهم يعـــذل

ولكن هل اللوم خاصّ به ؟ وهل العذل وقف عليه ؟ لا . وفي هذا عزاء لأحيحة إذ أنهما غير خاصين بالمشتري إنما يشملان البائع لتفريطه بل الذي باع من ذي قبل . يقول :

وأهل الّذي باع يلحونـــــه كمـــا عذل البائع الأول

وبما أنّ أحيحة قد اطمأنّ إلى أنّ اللوم والعذل لم ينج منهما بائع ولا مشترٍ ، لذلك هو يقوم بدور المدافع عن نفسه المبرر لتصرفاته :

هي الظلّ في الحرّ حقّ الظ ايل والمنظر الأحسن الأجمل
تعشّى أسافلهـــا بالجبـــوب وتأتي حلوبتهـــا من عـــل

فالنخلة هي الظلّ الظليل حينما يشتدّ الحرّ ، والمدينة المنوّرة معروفة به ، ولا يجهل إنسان دور النخلة في تلطيف الجوّ . وهي فوق ذلك متعة العين وبرد الفؤاد ولا تكلف صاحبها مجهوداً يذكر . إنما تشرب الماء من أسفلها ويأتي حملها من فوقها .

بل إنه يستطرد إلى الدفاع عن حرفة الزراعة وسبب تفضيله لها على الرّعي مثلا . فالنخلة في نظره تظلّ مكانها دائماً . تبيت حيث يبيت حفظه النخل وإن فرّطوا في شئونها وقصروا في واجبهم تجاهها . وفي الصباح لا تكلف أحداً شطط البحث عنها إذ لا تنتشر انتشار الإبل المهملة التي تكلف كل واحد من رعاتها الضرب في الصحاري بحثاً عنها وتتبعاً لها .

إنّ النخلة الكبيرة المسنة ، في نظره ، بمنزلة العم النافع لهم وهي قد عاصرت هذا العمّ من قبل وقدمت إليه نفعاً . والنخلة الصغيرة النقيّة بمنزلة الطفل الذي يرجى خيره ويؤمل نفعه .

ويبدو لنا أحيحة متقناً لعمليّة نماء المال وزيادته . لننظر إليه وهو يقول :

وإنما النخـــل من الفسيـــل كذلك القرم من الأفيـــل

فهذان البيتان من الرّجز يمثلان أحيحة المتقن لهذه العملية الشحيح أيضاً تمام التمثيل . فكبار النخل إنما أصلها الفسيل وهو صغارها ، والفحل من الإبل إنما أصله الفصيل وهو صغيره ، ولسان حاله يقول : لا ينبغي أن يستهان بالفسيل ولا بالأفيل ، فالأولى أصل رأس المال من النخيل والثاني أصل رأس المال من الإبل .

ويقول أيضاً أبياتاً في الرجز :

تأبّري يا خـــيرة الفسيـــل تأبّري من خند فشـــولي

إذ ضنّ أهل النخل بالفحول تروّحي أجـــدر أن تقيلي

غـــدا بجنبي بارد ظليـــل

ويبدو منها إحسان أحيحة معاملة نخله وطمعه الشديد فيما سوف يناله منه . فهو يطلب من فسيلته ، خيرة الفسيل في نظره ومأموله بقريته « خند » أن تقبل التلقيح وأن ترتفع وأن تطول . فقد أتاح لها الفرصة الطيبة ، فرصة التأبير ، في وقت بخل فيه أصحاب النخيل بذكور نخلهم . وفي حالة استجابتها سيكون خليقاً بها أن تقضي أوقات القيلولة مستقبلا ، بالقرب ، من مجرى ماء بارد ضمن مجموعة من الأشجار والنباتات التي تعطي ذلك المجرى .

نظرة مادية بحتة

لقد ارتبط ببخل أحيحة وشحه وطمعه نظرة ماديّة للأشياء جعلت الكثير من المثل والصفات الكريمة التي يفخر بها العرب بعيدة عنه كلّ البعد .

فهذا مثلا قيس بن زهير العبسيّ يطالب منه أن يهبه أو يبيعه درعاً واحدة له فيصرّح أحيحة بأنّ هبة الدروع ، والخيل السوابق أيضاً ، أمر ليس بالبديع ولا بالمستحسن . وإن كان لابدّ من شيء يفعل فلا مانع من البيع . ولكنه وهو الرجل الماديّ الجيد البيع يعرف أنّه سوف يغبن الثمن وانّما يطلب من قيس أن يعيّنه ، وفي ذلك إجحاف به لا يتركه أحيحة يمرّ دون أن يعلنه صراحة . يقول :

ألا يا قيس لا تسمنّ درعي — فما مثلي يساوم بالـــدروع
ولكن سمّ ما أحببت فيهـــا — فليس بمنكر غـــبن للبيوع
فما هبة الدّروع أخا بغيض — ولا الخيل السوابق بالبديع

معروف أن أحيحة عاش في زمن الفترة حيث كان هناك

الكثير من المتع التي يشجع الثراء على مزاولتها . ومع ذلك نحن نجده ، ولعله كان لا يزال في ريعان شبابه ، منصرفاً عنها إلى ماله ، يحرص عليه ويسعى جاهداً إلى تنميته . يقول :

ولو أنّي أشاء نعمت حالا وباكرني صبوح أو نشيل
ولاعبني على الأنماط لعس علـى أفواههنّ الزنجبيـل
ولكني جعلت ازاي مـالي فأقلل بعد ذلك أو أنيـل

ونريد أن نقف عند الشطر الأخير « فأقلل بعد ذلك أو أنيل » فقد تكون القافية اللاميّة هي التي أرغمته على أن يقدّم جملة « أقلل » ، ويؤخر « أو أنيل » ولكننا نظن أنّه ارغام هو راض عنه كل الرضى سعيد به كل السعادة إذ أنّ الإنفاق بقلّة قريب من نفس أحيحة لاصق بها حبيب إليها .

وينتقل الشاعر مباشرة إلى بث تجاربه وإظهار خبرته في لهجة الواثق المطمئن بل المتحدّي ولا يلبث أن يغوص ، دون أن يشعر في ماديته . ولكن من يتحدى ؟ إنه يتحـدّى أولا : الكاهن الذي يتكهن بالمستقبل والغيب ، وثانياً : ذلك الذي يزعم أنه يوحي إلى صنمه . أنّه يتحداهما بأُنهما يجهلان المستقبل جهلا تامّـاً . وقبل أن يعيّن لهما المسائل التي يجهلانها يقدّم أبناءه رهناً عندهما أن أثبتا علماً ، على أن يقدّما أبناءهما رهناً عنده إن صحت نظريته وأثبتا عجزاً وهذه المسائل هي قوله :

فما يدري الفقير متى غناه — وما يدري الغني متى يعيل
وما تدري وإنألقحت شولا — أتلقح بعد ذلك أم تحيل
وما تدري إذا ذمّرت سقبا — لغيرك أم يكون لك الفصيل
وما تدري إذا أجمعت أمراً — بأيّ الأرض يدر لك المقيل

وهكذا لا يدري الفقير متى يستغنى والغنيّ متى يفتقر . ولا يدري إنسان لم يقرع أنف الفحل عن الناقة هل تحمل أم لا ، ولو فرض أنهـــا نتجت وقبض صاحبها على عصبي عنقه لينظر أذكر هو أم أنثى وتبين له أنّه ذكر فلا يعرف هذا الصاحب أيكون هذا السقب حينما يكون فصيلا في المستقبل له أم لغيره . كما لا يدري إنسان أزمع على أمر ما في أي مكان ستدركه قيلولة النهار الآخر .

وهكذا نلاحظ أن ثلاثة تحديات من أربعة تتصل بالمال وترتبط به .

هذه النظرة المتطرفة للمادّة جعلته يسقط كل الاعتبارات الإنسانية والروحية الأخرى . المادة في نظره عصب هذه الحياة وليس هناك شيء آخر يزاحمها أو حتّى يجاريها . هذا الشطط هو الذي جعله ينكر وجود أي علاقة إنسانية أو روحية بين الإنسان وأخيه الإنسان . والحقيقة هي أنّ أحيحة من الأفراد القلائل الذين ينفردون بهذه النظرة المادية الخاطئة . أنظر إليه وهو يقول :

استغن عن كل ذي قربي وذي رحم   ان الغني من استغنى عن الناس

فهو ينصح الآخرين بأن يستغنوا عن كل ذي قربى ورحم وأن يقطعوا بهم كل علاقة غير العـــلاقة المادية ومادام أن المادة في نظره هي التي تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات فليس هناك فرق إذن بين القريب والبعيد ، الأجنبي وذي الرحم . الكلّ في نظره سواء ومن هنا هان عليه الإيمان بهذا الاستغناء بل الدعوة إليه في هذه الصورة البشعة ثم هو يقرر « أن الغني من استغنى عن الناس » فليس الغني في اعتقاده أن تكون بالضرورة ذا ثراء إنما الغني هو مجرد الاستغناء عن الآخرين وعدم الحاجة إليهم في قليل أو كثير . ثم انظر إليه وهو يقول :

استغن أومت ولا يغررك ذو نشب   من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال
يلوون مالهم عن حق أقربهـــم   وعن عشيرتهم والحق للوالي
فاجمع ولا تحقرن شيئاً تجمعـــه   ولا تضيعنّه يوماً على حال
انّي أقيم على الزوراء أعمرها   ان الكريم على الاخوان ذو المال
لها ثلاث بثار في جوانبهـــا   في كلّها عقب تسقى باقبال
كل النداء إذا ناديت يخذلني   الا ندائي إذا ناديت يا مالي

فالشاعر يتكلم في لهجة الآمر الواثق ممّا يقول المطمئن إليه بأن على الإنسان أن يختار الحياة الكريمة أو الموت الكريم . ولكنّ الحياة الكريمة في نظره إنما تأتي عن طريق الاستغناء عن الآخرين

خاصة أقرب الناس من جهة الأب والأم ، وحذار أن يغتر بهم وبثرائهم . ولو قدّر لإنسان أن يحتاج غيره فالأولى به أن يموت إذ أن حياته دون مال خليق بها أن يوضع لها حدّ . والحجّة التي يعتمد عليها أحيحة ، أن صدقا وان كذباً ، هي أنهم يمنعون ماالهم الذي يستحق منه أقربَ الأقرباء لهم وعشيرتهم . وفلسفتهم في ذلك على حدّ زعمه ، هي أنّ المال حق لصاحبه يتصرف فيه كيف شاء ويستمتع به دون سواه .

ولا يلبث أن يوضح فلسفته المادية في لهجة الآمر الجازم بأن يجمع دائماً ما يستحق في نظر الجميع وما يستحق في نظر القليل منهم وأن عليه ألا يضيع شيئاً منه البتة مهما ساءت الظروف والأحوال . بل إنه يعبّر صراحة في لهجة المؤكد عما يقوم به نفسه من عمارة أرضه « الزوراء » وفي اعتقاده أنه لهذا السبب هو كريم في قومه ذو مكانة مرموقة بينهم . هذه الأرض لها ثلاث بئار في جوانبها . كل بئر منها تختص بسقي مجموعة كبيرة من الإبل تأتي تباعاً تنهل من تلك الجداول التي تتدفق من الآبار . والحقيقة هي أن هذا البيت :

كل النداء إذا ناديت يخذلني الا ندائي إذا ناديت يا مالي

يعتبر القمّة في تصوير مادية أحيحة بن الجلاح .

روح عسكرية

من المعروف أن الحروب كانت على أشدّها بين الأوس والخزرج بصفة خاصّة كما كان الانتصار سجالا بينهما . وهذه المعارك المستمرة طبعت أفراد الحين بالطابع العسكري بما في ذلك أحيحة شاعرنا . فعلى الرّغم من حبّه للمال وفنائه فيه إلاّ أنهّ ، كما يبدو من شعره ، ينظمه سلك الشجاعة ، كيف لا وهو سيد الأوس أحد الجين المتناحرين .

هناك مثلا مقطوعة نظمها مخاطباً عاصماً أخا كعب بن عمرو المازني البخاري الخزرجي الذي أمر أحيحة قومه بني جحجبي أن يقتلون ، وبسببه التقى الحيّان بالرّحابه ، وكانت الحرب التي تسمّى حرب كعب بن عمرو المازني ، فانهزم أحيحة ولجأ إلى حصنه ، ثم بلغه أنّ عاصما يتطلبه ليجد له غرّة فيقتله . رعلى الرغم من أنّ أحيحة قد انهزم في هذا اليوم ، إلاّ أننا نجده يشيد بشجاعة الشّبان الأوسيين الذين اصطدم بهم عاصم بجانب أطم أحيحة « الضحيان » ويذكره بأنهم فتيان ألفوا الحرب فهم دائماً في الحديد وأبدا يتوقعونها ، فهم على أتم أهبة وأكمل استعداد ،

فكأنهم تلك الأسود التي تتحفز للوثوب تنتظر ساعة الصفر فقط . وهي أسود غابة ألفت ذلك النوع من الحياة الذي قوامه القوة والبطش . ويستطرد إلى أن هؤلاء الشبان الذين هذه صفتهم قد آرغموا عاصما هذا أن يعدل عن الطريق السوي المستقيم وأن يتجشم ركوب الحرار السود التي تحيط بالمدينة . ثم هو يخاطبه في صيغته تصغير التحقير « يا عصيم » لم كل هذا الجزع على ما أصابك ؟ إنّ الحرب لا تظنها كما حسبت لعباً ومزاحاً ودعابة ، فالذي أصابك قليل من كثير وغيض من فيض . لقد صبحت قومكم بقومي حينما دخلوا عليكم « الرّحابة » وقتلت أخاك كعبا قبلها وعلوت بسيفي رؤوسكم وقد أقسمت ألا أعطيك دية أخيك او أردّها ، بل ان أعطيك فيه باحة واحدة فضلا عن النوق والجمال المتعارف عليها . يقول :

نبئت أنك جئت تسري بين داري والقبابة
فلقد وجدت بجانب الضّحيان شبّانا مهابه
فتيان حرب في الحديد وشامرين كأسد غابه
هم نكّبوك عن الطريق فبتّ تركب كلّ لابه
أعصيم لا تجزع فإنّ الحرب ليست بالدّعابه
فأنا الّذي صبّحتكم بالقوم إذ دخلوا الرّحابه
وقتلت كعبا قبلها وعلوت بالسيف الذّؤابه
أقسمت لا أعطيك في كعب ومقتله سيابه

وهكذا نجد أحيحة على الرغم من أن الدافع له على الكلام هو الهزيمة إلا أنه لا يتفوّه عنها بكلمة واحدة تنمّ عليها . إنما ينقل الحديث إلى أشياء أخرى تتصل بأمجاد قومه الأوسيين . وحينما يضطر إلى الكلام عن يوم الهزيمة يتكلم عن الجانب المشرق منه وهو أنه هو وقومه صبحوا الخزرجيين بالغارة وبدؤوهم بالحرب .

وأحيحة البخيل لايشذّ عن الأوسيين الذين صقلتهم الحروب وصهرتهم الشدائد من كونهم يحبون كلّ ما يهيئهم لكسب المعارك على الأعداء من آلات وسلاح . فهو الذي يقول مخاطباً قيس بن زهير العبسي :

فما هبة الدّروع أخا بغيض ولا الخيل السوابق بالبديع

وهو الذي يقول في وصف فرس سريع يبزّ أقرانه .

تذر العناجيج الجياد بقفــرة مرّ الدّموك بمحصد ورجام

ولو فرض أن أحيحة البخيل ليس رجل حرب لما اهتمّ بالدروع والخيل فاهتمامه بهما دليل على الروح العسكرية التي صبغته .

ومما يدل على ذلك أيضاً اهتمام أحيحة ببناء الحصون والآطام للأغراض الحربية . وقد صرّح هو بذلك . يقول :

وقد أعددت للحدثان حصنا لو أنّ المرء تنفعه العقــول

طويل الرأس أبيض مشمخرا   يلوح كأنّه سيف صقيـــل
جلاه القـــين ثمّت لم يشنه   بناحية ولا فيـــه فلـــول

ويقول :

انّي بنيت واقما والضحيان   والمستظلّ قبلـــه بأزمـــان

ويقول مصرّحاً بأن الغرض من هذا البناء عسكري إذ أنه يخشى جماعة راكبين يهاجمونه أو شخصاً معتدياً .

بنيت بعد مستظلّ ضاحيـــا   بنيتـــه بعصبة من ماليـــا
للسّتر مما يتبع القواضيـــــا   أخشى ركيبا أو رجيلا عاديا

شخصية قوية

لا شك أن لأحيحة شخصيّة قويّة، فهو معتدّ بنفسه كلّ الاعتداد واثق من أنّه يطيق أن يفعل ما يشاء ، وقليل هم الذين يستطيعون أن يسدّوا ما سدّ، بالاضافة إلى أنه عزيز النفس أبيها يرفض أن يسأم حفا أو ينال هضما . يقول :

انّي والمشعر الحرام ومـــا حجّت قريش له وما نحروا
لا آخذ الخطّة الدنيّـــة مـا دام يرى من تضـــارع حجر

فالقسم هنا عمّق في أنفسنا معرفة الشاعر حقيقة قدر نفسه ورفضه رفضاً باتّا أن يضام مادام يرى حجر واحد من الجبل الذي يدعى جمّاء تضارع التّي تسيل على قصر عاصم بالعقيق وبئر عروة وما والى ذلك .

ويقول في الخلف السيّء للأزياد الذين قتلهم تبّع :

سدى لا يكتفون ولا أراهـم يطيعون امرء ان كان يكفى

فهذا الخلف الهمل لا ينجز مهمّا ولا يطفىء غليلا ولا يطيع ذا كفاءة . ويقول معتدّا بنفسه :

لعمر أبيك ما يغـني مقامي من الفتيان زمّيـل كسول
يروم ولا يقلّـص مشمعلا من العوراء ، مضجعه ثقيل
تبوّع للحليلة حيث كـانت كما يعتـاد لقحته الفصيل

فهو يتكلم في لهجة الجازم مع أنّه لا يستطيع أن يسدّ مسدّه في هذه الحياة ويغني غناه من الفتيان من كان ضعيفاً جباناً رذلا ، يكتفي بالتمني ، ولا يبتعد حثيثاً عن الفعلة القبيحة ولا يهتبل الفرص . وإنما تلقاه دائماً متباطئاً كسولا ملازماً لحليلته كأنه ذلك الفصيل الذي لا يكاد يفارق أمه . ويقول في نفس القصيدة:

وقد علمت بنو عمرو بأنّي من السّروات ، أعدل مايميل

فالأوس يعرفون أنه منهم في الذّؤابة ، وأنه قادر على إعادة الأشياء إلى مجراها الطبيعي الصحيح . ويقول في مكان آخر :

ما أن أقول لشيء حين أفعله لا أستطيع ولا ينبو على حال

فهو حينما يهمّ بفعل شيء فإنه واثق من قدرته عليه ، إذ ليس هناك شيء ، مهما كانت الظروف والأحوال ، بعيد عن متناول يده .

اندفاع وطيش

لأحيحة وهو في عنفوان شبابه كما لكثير غيره من الشبان في ذلك العصر الجاهلي مغامرات مع النساء ، الحرائر والقيان ، كما كان يروقه أن يحضر أماكن الطرب ويؤمّ مجالس الشرب آخذاً حظه من الخمرة ونصيبه من السفر والرحلة على الناقة التي تغوص في أعماق الصحاري ، مصاحباً للرفاق الذين يعتبرون يومهم عيدهم . يقول مثلا :

يشتاق قلبي إلى مليكـــه لـو ... أمست قريباً ممّن يطالبـــها
ما أحسن الجيد من مليكه و ... اللّبات إذ زانها ترائبها
يا ليتني ليلة إذا هجع النـــا ... س ونام الكلاب صاحبها
في ليلة لا يرى بها أحـــد ... يسعى علينـــا إلا كواكبها
لتبكني قينـــة ومزهرهـــا ... ولتبكني قهـــوة وشـــاربها
ولتبكني ناقـــة إذا رحلـت ... وغاب في سردح مناكبهـــا
ولتبكني عصبة إذا اجتمعت ... لم يعلم الناس ما عواقبهـــا

ففي هذه المقطوعة التي تنمّ عن نفس شاعرة ، يشير الشاعر إلى أن محبوبته مليكة بعيدة عنه ، فهو يرجو قربها ويتمنى لقاءها ،

وقد أعجبه منها خاصة جيدها وموضع القلادة من صدرها وما بين تدييها وترقوتيها ، بل إنه يتمنى وصالها بأن يكون صاحبها حينما يتمكن النوم من الناس فلا حركة هناك ، ويتحكم الصمت حتى من الكلاب فلا نباح لها ولا هرير ، فليس هناك أحد تخشى سعايته ووشايته في تلك الليلة سوى النجوم التي ترى ولكنها لا تفصح ولا تبين . والشاعر هنا يشير من طرف خفيّ إلى صفاء سماء المدينة المنورة الذي يغلب على لياليها .

إنّه وهو في ريعان الشباب كانت له مغامرات مع القيان وفتنه بضربهنّ على الآلات الموسيقية ، وعشق للخمرة المعتقة ومشاركة منه لشاربيها ، وولع بالضرب في الأرض على النوق الفتيّة المجللة بالرحال ، واندماج مع لداته الذين دان الزمان لهم والذين أخذوا من متع الحياة بالنصيب الأوفى والحظ الأكبر .

لقد ولىّ الشباب الآن أو هو قد كاد فمن حقّ القينة بل من واجبها هي والخمرة المعتقة والناقة الفتيّة وعصبية الشباب إذا اجتمعت أن تفتقده بل أن تبكي عليه وتندبه .

وإذا كان الشاعر في المقطوعة السابقة قد خصّ بالذكر مليكة فإنه في مناسبة أخرى يصرّح بذكر اسمين . سعاد وسلمى ، يقـــول :

أخلق الربع من سعاد فأمسى ربعه مخلقاً كدرس الملاة
بالياً بعد حاضر ذي أنيس من سليمي إذ تغتدى كالمهاة

وسعاد هو الاسم الذي اختاره الشاعر في مقدمة هذه القصيدة وسليمى تصغير لسلمى زوجته ابنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش احدى نساء بني عدىّ بن النجار . . وهذان البيتان اللذان يقال أن فيهما غناء من قصيدة طويلة نظمها في زوجته التي أعلمت قومها بنيّة زوجها في الانقضاض عليهم فاحتاطوا لذلك .

وإذا كانت هذه القصيدة لم يبق منها سوى هذين البيتين فإن هناك قصيدة طويلة نسبياً نظمت في المناسبة نفسها مطلعها :

صحوت عن الصبا والدهر غول ونفس المرء آونة قتـول

والذي يهمنا هنا هو الجانب الإنسانيّ منها حيث يقول :

إذا ما بتّ أعصبها فباتت عليّ مكانها الحمّى النّسول

فزوجة شاعرنا حينما علمت نية زوجها بتصبيح قومها تمارضت فبات يعصبها بل انّ الحمّى التي زعمت أنها كانت تلازمها تحوّلت إليه سريعاً . هذا التجاوب الإنساني النبيل تجاه زوجته يمكن أن يشعرنا بإحساسه تجاه المرأة عموماً خاصة في مقتبل الشباب حينما كانت له معهنّ تجارب وذكريات .

★ ● ★

تجربة وحنكة

منصور

لم يكن أحيحة شخصاً غفلا من التجارب بل على العكس من ذلك كان رجلا محنّكاً ذاق حلو الحياة ومرها ومرت عليه تجارب عديدة صقلته فعرف أين يكمن الخير وأين يستتر الشر فكفّ عن الغيّ الذي هو فيه والاندفاع الذي لازمه فترة من حياته ، واتزنت تصرفاته ونضج تفكيره وتبلورت نظرياته . لننظر إليه وهو يقول :

صحوت عن الصبا والدهر غول ونفس المرء آونـــة قتـــول
ولو أنّي أشاء نعمت حـــالا وباكرني صبوح أو نشيل
ولاعبني على الأغاط لعـــس على أفواههـــنّ الزّنجبيـــل
ولكنّي جعلت ازاي مـــالي فأقلل بعد ذلك أو أنيـــل

لقد كفّ أحيحة الآن عن إندفاع الشباب وصبواته وعرف الحقيقة المرّة التي سيصادفها حينما تتقدم به السنّ ويشتعل رأسه شيباً . كيف لا وهناك عدوّان يتربصان به الدّوائر . الدّهر الغدّار والنفس الأمارة بالسوء .

ان أحيحة لاينقصه شيء من مال ولا فضل من قوة يحولان بينه وبين أن يأخذ من الملذات بالنصيب الأوفى من أكل لحم وشرب مدام واستمتاع على الفرش المنقوشة بالعهن بالنسوة الجميلات اللاتي في شفاههن سواد ولريقهن طعم الزنجبيل . ولكنّه تساءل عن حقيقة النفع من كلّ ذلك فلم يجد شيئاً إنما وجد الفقر والمسألة ينتظرانه فانصرف عن ذلك كاه واهتمّ بماله . وقد أوحى له هذا الاهتمام ببعض الآراء التي تدور حول المادة كما مر بنا .

وأحيحة لا يتزّن فقط لإزاء المرأة الرخيصة بل إنه يتزن أيضاً في حبه لزوجته ! فبعد أن خسر معركة مع الخزرج بسبب إعلام زوجته لهم بنيّته في تصبيحهم تحول إندفاعه نحوها بعد عنها ونفوراً منها فضربها وكسر يدها وطلّقها . وهذا التحول ليس مستنكراً من أحيحة ولا مستغرباً منه بل أن هذه الحادثة جعلته يعيد النظر في المكان الذي يجب أن تحتله الزوجة فأصبح الشاعر لا يحترم الرجل الذي يلازم زوجته ملازمة الفصيل والدته :

تبوع للحليلة حيث كانت كما يعتاد لفحته الفصيل

وأحياناً تطبع نظرته إلى بعض الحقائق مسحة من تشاؤم . يقول :

وما من اخوة كثروا وطابوا بنا شئة لأمّهم الهبول
ستثكل أو يفارقها بنوها سريعاً أو يهمّ بهم قبيل

فهو لا يشدّ انتباهه من هؤلاء الأخوة أنهم كثيرون أصحاء فهو في حالة حسنة ، إنما الذي يشغل باله هو ما سيصير إليه حالهم حينما تصبح فيهم أمّهم ثكلى أو فارقها بنوها أو كانوا هدفاً لآخرين .

وهو حريص على ألاّ يتّهم بالطيش وأن توصف آراؤه بالإتزان والنضج يقول :

تفهّم أيها الرجل الجهــول ولا يذهب بك الرأي الوبيل
فانّ الجهــل محمله خفيف وانّ الحلم محمله ثقيـــل

ثمّ تأمل هذه الأبيات التي تدل على تجربة وتفكير :

والصّمت خــير للفـــتى ما لم يكــن عيّ يشينه
والقــول ذو خطــل إذا مالم يكــن لبّ يعينــه
والمرء قد يرجو الرجـــا ء مغيّبا والمــوت دونــه

ويقول :

ولا تجزع مــن المــوت إذا حــلّ بواديـــك

ولكنّ هذين البيتين هما اللذان يدلاّن على أن أحيحة داهية من الدواهي :

والبس عدوّك في رفق وفي دعــة
لباس ذي اربة للدهــر لباس
ولا تغرّنك أضغــان مزمّلـــة
قد يضرب الدّبــر الدامي بأحلاس

فالعدو في نظر أحيحة كالدهر . وبما أن المرء عليه أن يجاري الدهر في كل الأحوال بأن يميل معه إذا مال ويستقيم إذا استقام كذلك العدوّ على المرء أن يجاريه وأن يتعامل معه بالمداراة والحيلة والروغان فيستفيد من هذا العدو وينال منه ما يشتهي دون أن يغرم شيئاً أو يفقد نفعاً أو يكسب عداوة ظاهرة .

بل إن الشاعر لا يأبه البتة لكلّ تلك الأضغان التي تخفيها نفس هذا العدوّ فإنه برفقه ودعته وحيلته ودهائه يجعل هذه الأضغان أكثر خداء واستتاراً فينتفع من هذا العدوّ ويستفيد منه تماماً كما ينتفع ويستفيد من ذلك الجمل الذي أصابته القرحة ويقطر منه الدم فعلا بأن يضع عليه الأحلاس ويركبه . فالنفع حاصل من الجمل الصحيح وغيره والصديق وضدّه .

وتأمل معي هذا الشطر مرة ثانية « والبس عدوّك في رفق وفي دعة » فكأن هذا العدو ثوب من الأثواب على المرء أن يتناوله بتؤدة ولين وأن يرتديه في دعة ورفق . ولا ننسى أن ما يلبس إنما يلاصق الجسد . فهذا الرجل الداهية يجعل عدوّه قريباً منه كلّ هذا القرب ومع ذلك هو قادر على إقصاء شرّه وأذاه .

★ ★ ★

الرثاء

هناك بعض التجارب التي تهزّ الشاعر هزّ الشاعر هزّاً فلا يملك إلاّ أن يتجاوب معها ويتفاعل حتى ولو كان مادياً كأحيحة فهذا ابن له أو أخ يموت فيرثيه بقوله :

ألا انّ تعتريني بالبكاء تهلّل ... جزوع صبور كلّ ذلك تفعل
فان تعتريني بالنهار كآبة ... فليلي إذا أمسى أمرّ وأطول
فما هبر زيّ من دنانير أيلة ... بأيدي الوشاة ناصع يتأكل
بأحسن منه يوم أصبح غاديا ... ونفّسي فيه الحمام المعجل

في هذه المقطوعة نحن نحسّ صدق الشعور . فعينه تسيل بالدموع من فرط الحزن ، وهي مسرفة في الجزع مغالية فيه حيناً ولكنها تتصبر وتتجلد حيناً آخر . انها تأتي الشيء ونقيضه . وهو وان كان كئيباً نهاراً لأنه يستطيع أن يقضّيه بالأحاديث والانهماك في شئون الحياة فإنه ليلا يجد نفسه صفراً من كل ذلك وحيداً مع ذكرياته الأليمة وهمومه لذلك فليله حين يمسى أمرّ وأطول . ويتمثل له منظر الفقيد الحبيب الكامل البهاء فليس

يدنو ملاحه حين يغد وصباحا ، ذلك الدينار الجديد الخالص الصافي من دنانير أيلة الذي انتهى منه ضرابو الدنانير لتوّهم والذي يأكل بعضه بعضاً من حسنه . انّ الذي زاد شاعرنا رغبة في هذا الفقيد وتعلقاً به هو الحمام الذي اخترمه وهو في ريعان الشباب ومقتبل العمر .

وهناك مقطوعة أخرى في رثاء الأزياد الذين أرسل لهم تبع من جوف الليل فقتلهم على فقارة من فقار الحرّة تنسب إلى أحيحة وعموماً هي أقل صدقاً من سابقتها . يقول :

ألا يا لهف نفسي أي لهـــــف
على أهل الفقارة أي لهــف
مضــو قصد السّبيـــل وخلفونـــي
إلى خلــف من الأبــرام خلف
ســدى لا يكتفون ولا أراهـــم
يطيعون امــرء ان كان يكفـــى

بيئة زراعية خصبة

من المعروف أن المدينة المنورة تحيط بها الحرار من كل جهاتها تقريباً ، إذ أنها أرض بركانية أصلا ومن خصائصها أنها خصبة عادة . والمدينة بالإضافة إلى ذلك مشهورة بغزارة مياهها وعذوبتها . وفي شعر أحيحة اشارة إلى الحرّة أو اللابة . يقول :

هم نكبوك عن الطريـ ق فبت تركب كل لابه

ويقول في رثاء الأزياد :

ألا يا لهف نفسي أي لهف على أهل الفقارة أي لهف

وهناك اشارة إلى غزارة المياه إذ يقول في فرسه السريعة سرعة حبل البئر الذي يربط في طرفه حجر فيلقى في البئر :

تذر العناجيج الجياد بقفرة مرّ الدّموك بمحصد ورجام

ويقول في الجدول الذي يترقرق في بستانه :

يزخر في أقطاره مغدق بحافتيه الشّوع والغريف

ومن أشهر مايزرع في المدينة المنورة النخيل ، وقد كثرت

الاشارة إلى ذلك في شعر أحيحة ، يقول :

إذا جمادي منعت قطرهـــا زان جناني عطـــن مغضف
معرورف أســبل جبّــاره أسود كالغابــة مغدودف
يزخـــر في أقطـــاره مغدق بحافتيه الشــوع والغريف

ففي هذه الأبيات الثلاثة يصرح الشاعر بأنه إذا أخلفت جمادي الأزمنة فتأخر مطرها أو انقطع فلم يكن العشب الذي يزين مواضع الناس فان جنانه يزينها دائماً نخيله الراسخة في الماء لكثيرة الحمل . إن كل نخلة غزيرة السعف طويلته فكأنها عرف الديك أو الفرس وكبيرة النخل خاصّة تدلّى سعفها فكأنها حسناء قد أغدقت قناعها . والنخيل في مجموعه لشدّة خصرته التي تقترب من السواد وكثرته يشبه الغابة في عين الناظر .

ونستطيع أن نلاحظ على هذه المقطوعة ما يلي :

١ – الاشارة إلى أن بعض الزراع يعتمدون على المطر بالضرورة ولكن الأثرياء منهم والذين لهم بساتينهم الغنية بالمياه يعتمدون على الآبار والجداول التي تتدفق فيها بسبب هذه الآبار ، ولا يهمهم المطر في قليل أو كثير .

٢ – خصّ الشاعر جمادى بالذّكر ، وقد يستفاد من ذلك أن البعض يعتمد على المطر الذي ينزل في تلك الآونة خاصة .

٣ – شبه الشاعر نخله لارتوائه وغزارة سعفه وشـــدّة خضرته بالغابة التي تبدو لشدّة خضرتها سوداء . والحقيقة هي أن لفظة غابة جاءت في شعر أحيحة في موضع آخر في قوله :

فتيـــان حرب في الحديـــ ـــد وشامرين كأسد غابة

وهناك موضع شمال المدينة المنورة غربي جبل أحد يقال له الغابة لكثرة شجره والتفافها وهو مكان ترتاده الوحوش الكاسرة كما صرح لي بذلك أحد المدنيين قائلا انّه لا يمكن لأحد أن يأتي عليه الأصيل وهو في الغابة لخطورتها . واقرأ معي ما يقوله الأستاذ عبد القدوس الأنصاري(١) وقد توجهنا في ظهر يوم من أيام عام ١٣٤٩ هـ . إلى هذه الغابة بقصد الاطلاع والتنزه معاً ، وكنّا ممتطين صهوة سيارة كبيرة ، فلمّا تجاوزنا خيف العيون متجهين إلى الشمال الغربي دخلنا في أرض رملية ألقتنا إلى أرض مسبخة ، ساخت فيها عجلات سيارتنا الكبيرة ، واشتد زفيرها كأنما تستغيث بنا من هول هذة الأرض المغرقة ، فنزلنا عنها ودفعناها فتدافعت ، وامتطيناها فما هي إلا بضع دقائق حتّى عادت سيرتها الأولى ، فتركناها في مكانها ، وقلنا لأقدامنا : تقدّمي إلى الأمام ! حتّى بلغنا حدود الغابة فهالنا منظرها الموحش

---

(١) آثار المدينة المنورة ص ١٢٦ .

الكئيب الذي شاهدناه من خلال سوق أشجارها وفروعها ، ودخلناها في شبه اشمئزاز ، يسوقنا حب الاطلاع ، ويحدونا حب التنزه . أما الإطلاع فلا بأس به ، وأما التنزه فلا تنزه بهذه الأجمة المخيفة ذات الشقوق الهائلة الغائرة في باطن الأرض التي احتفرتها السيول بقوة تيارها . وقد لاحظنا أنه بأطراف هذه الشقوق تقوم شجيرات الاثل والطرفاء القصيرة الشبيهة في شكلها الباهت الصامت بالعجائز العابسة الكالحة الوجوه . وسرنا في الغابة متماسكين ومتقاربين خوفاً من الضياع ، وبعد أن تعمقنا فيها قليلا شاهدنا آثار وطأة حيوان كبير ، قال بعضنا: إنه أثر سبع ، وقال البعض : بل أثر نمر ، وعلى كلّ فهو داهية دهياء . وما كدنا نقارب الجبل الذي بطرفها الشمالي الغربي حتى استوقفنا الدليل ، وحذرنا من تجاوز هذا الموضع قائلا : في هذا المكان مشيراً إلى موضع من الغابة — غدير لا يخلو من ماء متكدر تحوم حوله أنواع الحيوانات ، وقد يقع فيه السائر من دون قصد فيعسر خروجه لشدّة وحله . وعدنا أدراجنا ننفض غبرات التقزز والاشمئزاز ، حتى وصلنا سيارتنا فامتطيناها وعدنا وفي نفوسنا أثر من كآبة منظر الغابة وإيحاشها .

نقل السمهودي « أن الزبير بن العوام كان قد اشتراها بمائة وسبعين ألفاً (لعلها دراهم) وبيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف » .

سبحان الله ! أكان ما ذكر في هذه الغابة الموحشة المقفرة من الزرع والنبات والنخيل في هذا العصر وفيما قبل هذا العصر ! حقاً إن هذه الأماكن كالبشر، تسعد ثم تشقى، وتشقي ثم تسعد ... » .

وبناء على ماسبق نحن نظنّ أن شاعرنا أحيحة في قوله « كأسد غابة » إنما يستفيد من واقع بيئة المدينة المنورة التي فيها الغابة وفيها الأسود فليست المسألة من قبيل الخيال أو الكلام المتبع المعتاد .

وقد صرح في هذه المقطوعة بذكر الشّوع وهو شجر البان وبالغريف وهو ضرب من الشجر وقيل من نبات الجبل كما صرح بالبلح في قوله :

أقسمت لا أعطيـــك فـــي كعـــب ومقتلـــه سيابـــه

ويقول مشيراً إلى النخيل وفائدته :

يلومونـــني في اشتّراء النخيـــل قومي فكلهم يعذل
أهل الذي بـــاع يلحونـــه كمـــا عـــذل البائع الأوّل
هي الظلّ في الحرّ حق الظليـــل والمنظر الأحسن الأجمل
تعشّى أســـافلها بالجبـــوب وتأتـــي حلوبتها من عـــل
فعـــمّ لعمـــكم ناقـــــــع وطفل لطفلـــكم يؤمـــل

ويقول مشيراً إلى النخيل والماء الغزير :

تأبّـــري يا خيرة الفســـيل تأبّـــزي من حنذ فشـــولي
إذ ضنّ أهل النخل بالفحول تروحي أجدر أن تقيـــلي
غـــدا بجنبي بارد طليـــل

ويقول في صفة « الزوراء » أرضه الزراعية التي سميت باسم بئرها البعيدة القعر :

لها ثلاث بئآر في جوانبهـــا في كلّها عقب تسقى بأقبال

فهنا اشارة صريحة إلى كبر هذه الأرض الزراعية الواضح حتى ان بها ثلاث بئآر يتدفق ماؤها خلالها وإلى اعتماد أحيحة في السقي عليها دون المطر لأن ماءها أكثر ضماناً وانتظاماً .

المجتمع اليثربي

المجتمع اليثربيّ كما يصوّره شعر أحيحة الموجود بين أيدينا لا يكاد يختلف عن أي مجتمع جاهليّ آخر وان كنا نلاحظ أن البيئة الطبيعية والأوضاع السياسية قد صبغتنا ذلك المجتمع بصبغتهما .

إن شعر أحيحة يصور لنا لهو المجتمع ، كما مرّ بنا في الفصل الخاصّ باندفاع أحيحة وطيشه . فليس أحيحة في المرحلة الأولى من حياته سوى فرد يمثل طائفة من ذلك المجتمع . فهو مثلا الذي يقول وكأنه يشير إلى ماضيه حينما كان مفتوناً بالحياة وملذاتها :

ولو أني أشاء نعمت حالا وباكرني صبوح أو نشيل
ولا عبني على الأنماط لعس على أفواههنّ الزنجبيل

والشطر الأخير يصور أحيحة المجرب إذ ينزّل طعم ريق محبوبته منزلة الزنجبيل الذي يفضل العرب طعمه اللذيذ .

ويصور لنا أحيحة جانب الجدّ أيضاً فهو الذي يقول :

ولتبكني ناقة إذا رحلت وغاب في سردح مناكبها

وليس يخاف أن أحيحة كأيّ عربيّ يعتمد على ناقته في مهامّ الأمور وهو بالإضافة إلى ذلك كأي يثربيّ عنده معلومات وافية عن الإبل وأحوالها وطرق معاملتها . والحقيقة هي أن البيئة الزراعية والحاجة الملحّة هي التي شجعت اليثربيين على العناية بهذا النوع من الحيوان فعرفوا عنه الكثير . وأحيحة حينما يقول :

وما تدري وان ألقحت شولا أتلقح بعد ذلك أم تحيل

إنما يسجل لنا التجارب الناجحة وغير الناجحة التي يقوم بها اليثربيون تجاه القاح نوقهم بالإضافة إلى اعطائنا صورة هذه الناقة التي تشول بذنبها متعرضة للقاح وصورتها وقد قبلت اللقاح أو لم تقبله ، ويقول :

وما تدري إذا ذمّرت سقبا لغيرك أم يكون لك الفصيل

وهو هنا يعطينا صورة ذلك اليثربي الذي نتجت ناقته ويريد أن يعرف المولود هل هو ذكر أم أنثي فيلمسه قابضاً على عصبي عنقه وصورة ذلك السقب حينما أصبح فصيلا . ولا ينسى أن يسجّل لنا صفة من أهم صفاته إذ أنه لا يكاد يفارق والدته البتّة « كما يعتاد لقحته الفصيل » . وكل هذا يدل على طول الممارسة التي تبدو قمّة في قوله :

ولا تغرنك أضغان مزمّلة قد يضرب الدّبر الدامي بأحلاس

فالبعير الذي يقطر دماً بسبب القرحة التي أصابته يعرف أحيحة كيف يركبه وينتفع به .

قلنا أن البيئة الخصبة لها دور في العناية بالإبل خاصة وهنا يجب أن نؤكد أن اليثربيين لم يتحولوا رعاة بحال من الأحوال إذ أن هذه البيئة قد شدّتهم إليها شداً فعرفوا الاستقرار وألفوه . وقد عرفنا أن أحيحة يفضل الزراعة على الرعي وذلك في قوله مفاضلا بين النخيل والإبل :

وتصبح حيث يبيت الرّعاء وان ضيّعوها وان أهملوا
ولا يصبحون يبغونها خلال الملا كلهم يسأل

كما يصور لنا الطريقة التي يسقي بها اليثربيون زرعهم وذلك بإرسال الماء في مجاريه وهي الطريقة التي لا تزال نراها في المدينة المنوّرة وغيرها . يقول :

لها ثلاث بئار في جوانبها في كلها عقب تسقى بأقبال

ويقول : يزخر في أقطاره مغدق . . .

ويرينا عادة اليثربيين في تنقية البئر البعيدة القعر :

تذر العناجيج الجياد بقفرة مرّ الدموك بمحصد ورجام

فلو فرض أن هناك بئراً بعيدة الغور يريدون تنقيتها فإنهم يربطون في طرف الحبل حجراً ثم يدلّى في البئر ويخضخض به الحمأة حتى تثور ثم يستقى ذلك الماء فيستنقى البئر .

وبما أن المجتمع زراعي فهو في حاجة إلى الكلاب التي تحرس ولكنها تهدأ في وقت متأخر من الليل .

يا ليتني ليلة إذا هجع النّا س ونام الكلاب صاحبها

وقد كانت أحياناً تدرّب لتقوم بدور المنبه على اقتراب الأعداء فقد كان أحيحة « إذا أمسى جلس بحذاء حصنه الضّحيان ، ثمّ أرسل كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لا يعرف ، حذراً أن يأتيه عدو يصيب منه غرّة(١) » .

عرفنا أن يثرب مشهورة بالنخيل ، وهو بحاجة إلى تأبير كي يثمر . وأحيحة حينما يقول « تأبري يا خيرة الفسيل » يجعلنا نتمثل أولئك الذين يتسلقون النخل ، الواحدة تلو الأخرى ، بقصد التلقيح . وحينما يثمر النخيل ، وهو بحاجة إلى أن يقطف ثمره وينتفع به أو بسعره . فهنالك عملية بيع وشراء وحركة ونشاط . وهي ليست قاصرة على النخل ومشتقاته بطبيعته الحال . يقول :

يلومني في اشـتراء النخيـ ـل قومي فكلهـم يعذل
وأهـل الذي باع يلحونـه كما عـذل البائع الأول

ويقول :

إذا ما جئتها قد بعت عذقا تعانق أو تقبّـل أو تفدّى

ويقول :

ألا يا قيس لا تسمنّ درعي فما مثلي يسـاوم بالـدروع

---

(١) غ ١٥/٤٨ .

ولكن سمّ ما أحببت فيهـا فليس بمنكر غــبن البيوع

ومن الجائز أن تكون دنانير أيلة التي وردت الإشارة إليها في قولـــه :

فما هبرزيّ من دنانير أيلـة بأيدي الوشاة ناصع يتأكّل

معروفة لدى اليثربيين متداولة بينهم .

وإذا كانت البيئة الزراعية قد طبعت اليثربيين بطابعها فإنّ الوضع السياسيّ له نفس الدور إذ طبعتهم الحروب المستمرة مع الخزرجيين بطابعها فهناك تعطش لسفك الدماء وطيش وحمية وجبروت . فهذا أحيحة يقتل خصمه ويصبّح قومه بالغارة كعادة العرب ويجرد عليهم سيفه ويصرّ مع ذلك كله على ألا يدفع بلحة واحدة لأهل المقتول فضلا عن الدية المتعارف عليها . يقول :

فأنــا الّـــذي صبحتكــــــم بالقوم إذ دخلوا الرّحــابه
وقتلـــت كعبـــا قبلهــــــا وعلوت بالسيــف الذؤابه
أقسمت لا أعطيــك فـــي كعـــب ومقتلــه سبابــه

ومن الجائز أن يفهم من البيت الأخير أن الدية تكون أحياناً من التمر .

ويشير إلى عادة الجاهليين في إباحة الدماء وسبي النساء . يقول :

أن ترد حربي تلاق فتي غير مملوك ولا برمه
قسما ما غير ذي كذب أن نبيح الخدن والحرمه

وحينما يقول : « ويأتهم بعورتك الدليل » نستطيع أن نتبين الحياة الحربيّة التي يعيشها اليثربيون وحرصهم المتبادل على معرفة عورات أعدائهم عن طريق الجواسيس . ويبدو أن لفظة عورة بمعناها القرآني الذي جاء في سورة الأحزاب (١) في قوله تعالى : « يقولون أن بيوتنا عورة وما هي بعورة » كانت ذائعة بينهم في ذلك الوقت المتقدّم من الجاهلية نسبياً .

وبما أن هناك اعتداء من جانب فهناك حرص على الأخذ بالثأر من جانب آخر كما هو معروف عن عاصم المازني الذي كان حريصاً على أن يثأر لأخيه كعب من أحيحة وقد أشار الشاعر إلى ذلك .

واليثربيون كبقية العرب معتدون بأنسابهم ، حريصون على بقاء دمهم نقياً ، عارفون بأنهم يتميزون عن غيرهم من الدخلاء ومن تجري في أبدانهم دماء مختلطة . يقول :

أن ترد حربي تلاق فتى غير مملوك ولا برمه

وهذا يفهم اعتماد العربيّ على نفسه في الحروب لا على غيره ومن باب أولى العبيد واللؤماء . وفي ذكره لفظة « مملوك » نفهم معرفة اليثربيين للرقّ والعبودية كما نفهمه من قوله :

---

(١) آية «١٣» .

أهنت المال في الشهوات حتى أصارتني أسيفا عبد عبد

واليثربيون وإن كانت لهم عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم في المعاملات فإن هناك شعوراً دينياً واضحاً له دوره الفعّال في تصرفاتهم يبدو ذلك من القسم في قوله :

أقسمت لا أعطيك في كعب ومقتله سبابه

وقوله : قسما ما غير ذي كذب

وقوله :

اني والمشعر الحرام وما حجّت قريش له وما نحروا
لا آخذ الخطّة الدنيّة ما دام يرى من تضارع حجر

ونستطيع أن نفهم من أول هذين البيتين أنهم كباقي العرب يقدسون الأماكن الدينية ويعترفون بأن لقريش مكانة دينية مرموقة مع علمنا بأنهم وثنيون فقد كان الأوس والخزرج خاصة « يحجون إلى مكة ، ويقفون مع الناس المواقف كلها ، ولا يحلقون رؤوسهم ، فإذا نفروا أتومناة(١) وحلقوا رؤوسهم عندها لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك(٢) » .

والمدينة مشهورة بسمومها اللافح خاصّة في النهار ، وهناك أكثر من إشارة في شعر أحيحة إلى ذلك ، ونحن نستطيع أن

(١) صخرة كانت منصوبة على ساحل البحر بين المدينة ومكة .
(٢) الأصنام ص ١٤ .

نتمثل بعض أفراد هذا المجتمع وهم يستظلون بالنخاة . يقول :
يقول :

هي الظّلّ في الحرّ حق الظليـ ـــل والمنظر الأحسن الأجمل

ويقول :

تروحي أجدر أن تقيـــلي غدا بجني بـــارد ظليـــل

كما أنّ هناك اشارة إلى الحمّى التي كان موطنها المدينة المنوّرة والتي عانى منها المهاجرون كثيراً فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن ينقل حماها إلى الجحفة(١) يقول :

إذا ما بت أعصبها فباتـــت عليّ مكانها الحمّى النسْول

ونستطيع أيضاً أن نتمثل بعض أفراد المجتمع اليثربي وهم يعانون وطأة الحمّى في وضع قريب من وضع المهاجرين .

وليس نشاط السكان مقصوراً على الزراعة والتجارة وشيء من عناية بالحيوان فإنّ للصناعة مكانها ، خاصة بسبب الحروب التي كان يعيشها السكان ، فهم لا يستغنون عن السلاح بحال ، وهو بحاجة إلى الحدادين الذين يصنعونه من ناحية والذين يتعهدونه بالصيانة والعناية من ناحية أخرى . وهذا هو أحيحة يشير إلى ذلك السيف الصقيل الذي أتقن صنعه الحداد فليس فيه انثلام ولا خدوش ولا عيوب . يقول :

جلاه القين تمّت لم يشنـــه بناحية ولا فيه فلـــول

---

(١) السيرة ١/٥٨٩ .

ثانياً

ديوان أحيحة

علامات

أثير : تاريخ ابن الأثير .

الأشباه : الأشباه والنظائر للخالدين .

البيان : البيان والتبيين للجاحظ .

التزيين : تزيين الأسواق لداود الأنطاكي .

الجمهرة : جمهرة اللغة لابن دريد .

الحماسة : حماسة أبي تمام .

حم بحتري : حماسة البحتري .

الخلاصة : خلاصة الوفا للسمهودي .

روض : الروض الأنف للسهيلي .

السيرة : السيرة النبوية لابن هشام .

العيون : عيون الأخبار لابن قتيبة .

غ : الأغاني .

ق : طبعة بولاق .

م البكري : معجم ما استعجم .

م البلدان : معجم البلدان لياقوت .

المحاضرات : محاضرات الراغب الأصفهاني .

هـ : معناه أن ما ستلو منقول عن هامش المصدر

الوفا : وفاء الوفاء للسمهودي .

فهرست بمطالع القصائد والمقطوعات

الصفحة

يلوموني في اشتراء النخيـــ ــــل قومي فكلهم يعذل ٥٥
صحوت عن الصباوالدهرغول ونفس المرء آونة قتــول ٥٦
ليت حظي من أبي كرب أن يردّ خــيره خبلــه ٦١

أستغن أو مت ولا يغررك ذو نشب

من ابن عــمّ ولا عمّ ولا خال

يا بنيّ التخوم لا تظلموهـا ان ظلم التخوم ذو عقال ٦٢

وإنما النخـــل من الفســيل ٦٣
تأبّـــري يا خـــيرة الفسيـل

ان ترد حربي تلاق فـــتى غير مملوك ولا برمـــه ٦٤
تذر العناجيج الجياد بقفـرة مرّ الدّموك بمحصد ورجام

قد كنت أغنى الناس شخصـــا واحـــدا

سكن المدينة عن زراعة فــــوم ٦٥

والصمت خـــير للفــــتى ما لم يكن عـــيّ يشـــينه
والمرء قـــد يرجو الرجـــاء مغيّبـــا والموت دونه

انّي بنيت واقمـــا والضحيان

بنيـــت بعد مســـتظل ضاحيـــا ٦٦

*

١ – يشتاق قلبي إلى مليكة لو
أمست (١) قريبا ممّن يطالبها

٢ – ما أحسن الجيد من مليكة والـ
ـلّبات (٢) إذ زانها ترائبها

٣ – يا ليتني (٣) ليلة إذا هجع النّا
س ونام الكلاب صاحبها

٤ – في ليلة لا يرى بها أحد
يسعى (٤) علينا إلاّ كواكبها

٥ – لتبكني قينة ومزهرها (٥)
ولتبكني قهوة وشاربها

---

* غ ١٥/٣٦ – ٤٠ (١ – ٧) و ١٢٢ (٢ ، ٣) و ٥٢ (٢) والخزانة ٣/٣٢١ (١ – ٧) و ٣٢٢ (٢ – ٤) والحيوان ١/٣٦٨ (٢ ، ٣) و ٢/٦٠ (٣) والتزيين ١/١٤٠ (٢ – ٤) والوفا ١/١٣٢ (٥ : ٧) .

(١) الخزانة « أمسى قريباً لمن » .

(٢) اللبة : موضع القلادة من الصدر . والترائب : ما بين الثديين والترقوتين . ومليكة : قينة كانت لأحيحة أنظر غ ١٥/٣٩ .

(٣) التزيين « يا ليتني . . . ونام النيام » .

(٤) يسعى هنا من السعاية بمعنى الوشاية . الخزانة « لا نرى بها أحداً يحكى » .

(٥) المزهر كمنبر : العود الذي يضرب به والجمع مزاهر . والقينة : الأمة مغنية كانت أو غير مغنية وإنما قيل لها قينة لأنها تعمل بيديها مع غنائها . والعرب تقول لكل من يصنع بيديه شيئاً قين . والمراد بالقهوة هنا الخمرة .

٦ – ولتبكي ناقة إذا رحلت (٦)
وغاب في سردح مناكبها

٧ – ولتبكني عصبة إذا اجتمعت(٧)
لم يعلم الناس ماعواقبها

(١) *

١ – نبّئت أتاك جئت تسـ
ـري بين داري والقبابة(٢)

٢ – فلقد وجدت بجانب الضّحـ
ـيان (٣) شبّانا مهابه

٣ – فتيان حرب في الحديـ
ـد وشامرين كأسد غابه

٤ – هم نكّبوك عن الطّريـ

---

(٦) رحلت : جعل عليها الرحل وهو مركب للبعير والناقة . والسردح : الأرض اللينة المستوية . الخزانة « سربخ » .

(٧) غ « إذا جمعت » . والسمهودي « لا يعلم » .

* أثير « ليدن » ١/٤٩٥ (١ – ٧) واللسان والتاج « سيب » (٨) .

(١) يخاطب عاصما أخا كعب بن عمرو المازني البخاري الخزرجي الذي أمر أحيحة قومه بني جحجبي أن يقتلوه . وبسببه التقى الحيان بالرحابة وكانت الحرب التي تسمى حرب كعب بن عمرو المازني ، فانهزم أحيحة ولجأ إلى حصنه ، ثم بلغه أن عاصما يتطلبه ليجد له غرة فيقتله فقال الأبيات . أنظر أثير وكذلك غ ١٥/٤٧ .

(٢) القباب ، كغراب : أطم بالمدينة .

(٣) الضحيان : أطم لأحيحة . غ ١٥/٤٠ .

ـق فبتّ تركـب كـلّ لابـه(٤)

٥ ـ أعصيـم لا تجـزع فإنّ الـ

ـحرب ليسـت بالدّعـابـه

٦ ـ فأنـا الّـذي صبّحتـكم

بالقـوم إذ دخلـوا الرّحابـه

٧ ـ وقتلـت كعبـا قبلهـا

وعلوت بالسّـيف الذؤابـة (٥)

٨ ـ أقسـمت لا أعطيـك في

كعـب ومقتـله سيابـه(٦)

* (١)

١ ـ أخلق الرّبع من سعـاد فأمسى

ربعـه مخلقا كدرس(٢) المـلاة

٢ ـ باليـا بعد حاضـر ذي أنيـس

من سليمي إذ تغتـدي كالمهـاة

---

(٤) اللابه : الحرة . ونكبوك : نحوك .

(٥) الذؤابة : الناصية وهي شعر في مقدم الرأس . وذؤابة كل شيء أعلاه ومنه « هو ذؤابة قومه » أي المتقدم فيهم .

(٦) سيابه : بلحة ، وجمعها سياب مثل سحاب .

* غ ٥١/١٥ .

(١) من قصيدة طويلة نظمها في زوجته التي أعلمت أهلها بعزم زوجها على تصبيحهم فاستعدوا ، ويقال أن في هذين البيتين منها غناء . أنظر غ ٥١/١٥ .

(٢) الدرس ، بفتح الدال وكسرها : الخلق . والملاة : الملاءة .

(٣) •

١ ـ إذا ما جئتها قد بعت عذقا(٤)
تعانق أو تقبّل أو تفدّى

٢ ـ أهنت المال في الشهوات حتّى
أصارتني أسيفا(٥) عبد عبد

٣ ـ فمن نال(٦) الغنى فليصطنعه
صنيعته ويجهد كل جهد

٤ ـ أعلمكم وقد أرديت نفسي
فمن أهدى سبيل الرشد بعدي

• الأصمعيات ١٢٧ (١ ـ ٤) وحم البحتري ٣٤٤ (٣ مع آخر) لا بن الأسلت ، الشاعر الأوسي الجاهلي . والبيت هو :

ولا يمنعه من حمد وشكر ولا يبخل به عن فعل رشد

(٣) في زوجته .

(٤) العذق ، بفتح العين وسكون الذال : النخلة بحملها ، وبكسر العين : العرجون بما فيه من الشماريخ . تفدى : تقول له : كملت فداك .

(٥) الأسيف : العبد أو الأجير .

(٦) حم البحتري « ورث » .

*

١ – انّي والمشعر الحرام وما
حجّت قريش له وما نحروا(١)
٢ – لا آخذ الخطّة الدّنية ما
دام يرى من تضارع(٢) حجر

**

١ – استغن عن كلّ ذي قربى وذي رحم
ان الغنيّ من استغنى عن الناس
٢ – والبس(٣) عدوّك في رفق وفي دعه
لباس ذي اربة للدّهر لبّاس
٣ – ولا تغرّنك أضغان مزمّله
قد يضرب الدّبر(٤) الدامي بأحلاس

---

* م البلدان (تضارع) و (الجماء) والوفا ٢/٢٠٧ .

(١) المشعر الحرام ، و بكسر ميمه : بالمزدلفة . في (تضارع) « وما شعروا » .

(٢) الخطة ، بالضم : الأمر . أنظر القاموس . تضارع ، بضم الراء على تفاعل ويروي بكسر الراء : قال الزبير : الجماوات ثلا ث ، فمنها جماء تضارع التي تسيل على قصر عاصم وبئر عروة وما والى ذلك . أنظر ياقوت .

** البيان ٢/٣٦١ والبخلاء ١٨٢ (١ – ٣) وحم البحتري ٩ (٢ – ٣)

(٣) البحتري « البس . . . . أطوار ذي اربة » . والاربة : الدهاء والحيلة .

(٤) يقال : بعير دبر وأدبر ، إذا أصابته الدبرة بالتحريك ، وهي القرحة . البحتري « قد يركب الدبر » .

*

١ - ألا يا قيس(١) لا تسمن(٢) درعي
فما مثلي يساوم بالدروع

٢ - فلولا خلّة(٣) لأبي جويّ
وأنّي لست عنها بالنّزوع

٣ - لأبت بمثلها عشر(٤) وطرف
لحوق الاطل جيّاش تليع

٤ - ولكن سمّ ما أحببت فيها
فليس بمنكر غبن(٥) البيوع

٥ - فما هبة الدّروع أخا(٦) بغيض
ولا الخيل السّوابق بالبديع

---

* غ ٥٢/١٥ .

(١) يخاطب قيس بن زهير بن خذيمة العبسي وقد طلب منه أن يبيعه أو يهبه درعاً له . وانظر أثير ٥٦٦/١ « أيام داحس والغبراء » .

(٢) السوم : طلب الشراء . وهو يريد « لا تسومن » .

(٣) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر والخصاصة . والخلة : الخصلة . وبالضم : الصداقة المختصة لا خلل فيها ، تكون في عفاف وفي دعارة . ولعل المراد بأبي جوي خالد بن جعفر العامري قاتل زهير بن جذيمة ومادح أحيحة . انظر غ ٥١/١٥ . ويقال : نزع الإنسان إلى أهله والبعير إلى وطنه ينزع نزاعاً ونزوعاً : حن واشتاق ، وهو نزوع والجمع نزع .

(٤) أي بعشر مثلها . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أي الأبوين . واللحوق : الضامر . والاطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .

(٥) يقال : غبنه في البيع يغبنه غبنا ويحرك ، أو بالتسكين في البيع وبالتحريك في الرأي : خدعة . ورجل بيوع : جيد البيع .

(٦) أي يا أخا بغيض ، وهم قبيلة قيس .

١ ـ إذا جمادى منعت قطرها
زان جناني عطن مغضف(١)

• اللسان « جمد » (١) لبعض الأنصار . و « عرف » (١ ، ٢) له ، « عصف » (١) وزاد » وروايتنا مغضف ، بالضاد المعجمة ، ونسب الجوهري هذا البيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري قال ابن بري: هو لأحيحة بن الجلاح لا لأبي قيس . و « شوع » (٢) له . وزاد : « وهذا البيت استشهد الجوهري بعجزه ونسبه لقيس بن الخطيم ، ونسبه ابن بري أيضاً لأحيحة بن الجلاح » والتاج « جمد » (١) لبعض الأنصار و « عصف » (١) وأشار إلى نسبة الجوهري له لا بن الأسلت وابن بري لأحيحة . و« غضف » (١) له . و « غرف » (٣) له . و « حوف » (٣) له و « شوع » (١ – ٣) وفيه وأنشد الجوهري للشاعر يصف جبلا : بأكنافه الشوع والغريف . ونسبه بعضهم لقيس بن الخطيم وقال ابن بري والصاغاني هو لأحيحة ابن الجلاح يصف عطنه وأن له بساتين وأرضين يزرعها ويسقيها – بالسواني فلا يعبأ بتأخر المطر وانقطاعه . والصحاح « غرف » (٢) له . و « عصف » (١) لا بن الأسلت . وكتاب النبات والشجر للأصمعي ٤٤ (٢) لأحيحة والجمهرة ٦٢/٣ و ٣٥٣ الشطر الثاني من الثالث « له » ويلاحظ أن كل المصادر عدا التاج جعلت الشطر الثاني من البيت الثالث للثاني .

(١) اللسان غضف أراد بالعطن ههنا : نخيله الراسخة في الماء الكثيرة « الحمل » « التاج » وأغضف العطن : كثر نعمه « اللسان جمد » يقول : إذا لم يكن المطر الذي به العشب يزين مواضع الناس فجناني تزين بالنخل « اللسان « غرف » و « عصف » والصحاح والتاج « عصف » « جنابي . . . معصف » والتاج « غضف » « زان جنابي » والجناب ، بالفتح : الفناء وما قرب من محلة القوم . اللسان ومكان معصف كثير الزرع ، وقيل: كثير التبن عن اللحياني وفي القاموس « وأغضف النخل : كثر سعفها وأوقرت » .

٢ - معرورف(١) آسبل جبّاره
أسود كالغابة مغدودف

٣ - يزخر في أقطاره مغدودق
بجما فتيه الشّوع(١) والغريف

* (٢)

١ - ألا يا لهف نفسي أيّ لهف
على أهل الفقارة(٣) أي لهف

---

(١) ابن منظور شوع « قال أحيحة يصف جبلا » معروف : يقال : أعرف الفرس إذا طال عرفه ، واعرورف إذا صار ذا عرف ، وعرف الديك والفرس والدابة وغيرها : نبت الشعر والريش وارتفع فصار له كالعرف واعرورف الدم إذا صار له من الزبد شبه العرف . أنظر اللسان . أسبل الزرع : خرجت سبولته . والسبولة ويضم ، والسبلة محركة والسنبلة بالضم : الزرعة المائلة . والجبار من النخل : ماطال وفات اليد . . . يقال : نخلة جبارة وناقة جبارة أي عظيمة سمينة . الصحاح . مغدودق . يقال : أغدقت المرأة قناعها إذا أرسلته على وجهها .

(١) الشوع ، بالضم : شجر البان وهو جبلي . . . . وواحدته شوعة وجمعها شياع . والغريف ، بكسر الغين وتسكين الراء : ضرب من الشجر ، وقيل من نبات الجبل . التاج غرف « يزخر في حافاته » وابن دريد ٦٢ « بأكنافها » و ٣٥٣ « بأكنافه » .

* غ ٤٣/١٥ .

(٢) يرثى الأزياد الذين قتلهم تبع .

(٣) ص ٤٠ « وأرسل تبع من جوف الليل إلى الأزياد فقتلهم على فقارة من فقار تلك الحرة » تشبيهاً بفقار الظهر .

٢ – مضـــوا قصد السبيل(١) وخلفوني
إلى خلـــف مـــن الابـــرام خلـــف
٣ – ســـدى(٢) لا يكتفون ولا أراهم
يطيعـــون امـــرء ان كـــان يكفـــي

*

١ – أشدد(٣) حيازيمك للمـــوت(٤)
فإنّ المـــــــوت لاقيـــــــك
٢ – ولا تجـــزع مـــن المـــوت
إذا حـــــل بواديـــــــك

* *

١ – ألا(٥) إنّ عيني بالبكاء تهلّل(٦)
جـــزوع صبور كلّ ذلك تفعـــل

---

(١) القصد : استقامة الطريق والاعتماد والأم . والابرام ، جمع برم بالتحريك ، وهو الجبان البخيل أو المعدم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .
(٢) سدى : همل .
* مجمع الأمثال (محي الدين عبد الحميد) ١/٣٦٦ (مثل ١٩٦٩) .
(٣) يخاطب ابنه .
(٤) الميداني « أشدد حيازيمك لذلك الأمر أي وطن نفسك عليه وخذه بجد » وبعد أن ذكر البيتين أضاف : « أشدد : في البيت زيادة ، ويسمى العروضيون هذا خزماً ، والنقصان خرماً » .
** م البلدان (أيلة) والتاج « هبز » (٣ ، ٤) واللسان نفس . (٤) .
(٥) ياقوت « يرثي ابنه » والزبيدي « يرثي ابناً له وقيل أخاً له » .
(٦) تهللت العين : سالت بالدمع ، وتهللت دموعه : سالت .

٢ ـ فإن تعـتريني بالنهـار كآبـة
فليـلي إذا أمسـى أمـرّ وأطـول
٣ ـ فما هـبرزىّ(١) من دنانير أيلة
بأيـدى الوشـاة ناصـع بتـأكل
٤ ـ بأحسـن منه يوم أصبح غاديـا
ونفّسـني(٢) فيـه الحمـام المعجّل

*

١ ـ يلوموني(٣) في اشـتراء النخيـ
ـل قومـي فكلّهـم يعـذل
٢ ـ وأهل الّـذي بـاع يلحـونه
كمـا عـذل البائـع الأوّل
٣ ـ هي الظّل(٤) في الحرّ حقّ الظليـ
ـل والمنظـر الأحسـن الأجمـل

---

(١) الهبرزي : الدينار الجديد . وأيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام .
والوشاة : ضرابو الدنانير . ويتأكل : يأكل بعضه بعضاً من حسنه .
(٢) نفسني فيه : رغبني فيه .
* الأزمنة والأمكنة ٣٣٥/٢ (١ – ٧) والمحاضرات ٥٨٧/٢ (١ ، ٤ ، ٧ ، ٣) واللسان « ظلل » (٣) و « عشا » (٤) و « رعى » (٥) والتاج « ظلل » (٣) .
(٣) الأزمنة « لقد لامني » والمحاضرات « وكلهم » .
(٤) « قال ابن سيدة : المعنى عندي هي الشيء الظليل ، فوضع المصدر موضع الاسم » اللسان « ظلل » . الأزمنة « هو الظل في الصيف » والمحاضرات « هي المال والظل » .

٤ – تعشّى أســافلهــا بالجبوب(١)
وتأتــي حلوبتهــا مــن عــل
٥ – وتصبح حيث يبيت الرّعاء(٢)
وإن ضيّعوهــا وإن أهملـــوا
٦ – ولا يصيحــون يبغّــونهــا
خــلال المــلا كلهــم يســأل
٧ – فعــمّ لعمكـــم(٣) نافـــع
وطفـــل لطفلكـــم يؤمـــل

---

(١) الجبوب : التراب . « يعني أنها تتعشى من أسفل ، أي تشرب الماء ويأتي حملها من فوق ، وعنى بحلوبتها حملها كأنه وضع الحلوبة موضع المحلوب اللسان « عشا » . الأزمنة « تغشى أسافلها بالجنوب ويأتي » والمحاضرات» تغشى الحبوب بأذنابها . يجلب من ضرعها » .

(٢) اللسان . انما عنى بالرعاء هنا حفظة النخل لأنه انما هو في صفة النخيل ، يقول : تصبح النخل في أماكنها لا تنشر كما تنتشر الابل المهملة » . الأزمنة تبيت » .

(٣) الأزمنة « لعميكم » .

*

١ – صحوت(١) عن الصبا والدهر(٢) غول
ونفس المـــرء آمنـــة قتـــيل

٢ – ولـــو أنّـــي أشـــاء نعمت حالا
وباكرني صبـــوح أو(٣) نشيـــل

---

* جمهرة أشعار العرب ١٢٥ (١ – ٢٢) ، ٩ (٧) وأثير « ليدن » ٤٩٦/١ (١١ – ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٥ – ٧ ، ١٠ ، ٩ ، ٢١ ، ٢٢) وغ ١٥/٥٠ (٢٣ ، ٢٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، – ١٦) و ١٦٣/٢١ (١٠) وحم البحتري ١٨٦ (٧ ، ١٠ ، ٨) و **٣٦٢** (٢١ ، ٢٢) واللسان « عيل » (٥ – ٧ ، ١٠) و « مكل » (١) و « زمل » (١١) و « عقل » (١٦) و « رهن » (٦) والاتباع لأبي الطيب ٦٦ (٧) والمعاني الكبير ١٠١٧ (٢٠) والجمهرة ٢٠/١ (٥ – ٧) و ١٩٣/٢ (٨ ، ١٠ ، ٧) و ١٤١/٣ (٧) والأساس « ذمر » (٩) و « عقل » (١٦) والتاج « زمل » (١١) و « عقل » (١٦) و « عيل » (٧) و « مكل » (١) و « رهن » (٦) والصحاح « زمل » (١١)و« عقل» (١٦) و « عيل » (٧) والبخلاء ١٨٢ (٢ – ٤) والأشباه والنظائر ١٦/١ (٢٠ ، ١٦ ، ١١ ، ٥ – ٧ ، ١٠ ، ٩ ، ٨) والوفا ١ / ١٣٧ (١٦ ، ١٧) .

(١) هم أحيحة أن يبيت بني النجار وكان عنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية التي أشعرت قومها فاستعدوا . وتم بينهم شيء من قتال ، وانحاز أحيحة ، ثم بلغه أن سلمى أخبرتهم فضربها حتى كسر يدها وأطلقها وقال الأبيات .

(٢) اللسان والتاج « مكل » واللهو . . . مكول « أي قليلة الخير مثل البئر المكول ، وهي القليلة الماء .

(٣) الصبوح : ما حلب من اللبن بالغداة وما أصبح عندهم من شراب ، والنشيل لحم يطبخ بلا توابل . البخلاء فلو أني . . . . نعمت بالاً » .

٣ – ولاعبني على الأنماط(١) لعس
علـــى أفواههـــــنّ الزنجبيـــــــل

٤ – ولكني جعلت ازاي(٢) مالــي
فأقـــلل بعــد ذلك أو أنيـــــــل

٥ – فهل من كاهن أو ذي(٣) الــه
إذا مـــا حـــان مـــن ربّ أفـــول

٦ – يراهني فيرهني(٤) بنيــــــه
وأرهنــــه بـــنيّ بمـــا أقـــول

٧ – وما يدري الفقـــير متى غنـــاه
وما يدري الغنيّ مـــتى يعيـــل(٥)

---

(١) الأنماط : فرش منقوشة بالعهن . واللعس : من في شفاههن سواد .

(٢) ازاء : مقابل وأمام . البخلاء « خلقت إذن لمال فأبخل » .

(٣) أثير « أودى إليه . . . . آل نزول » وابن دريد « فمن شاكا هنا أو ذا اله . . . . من آل نزول » والال : الوحي ، وكان أهل الجاهلية يزعمون أنه يوحى إلى أصنامهم . والخالديان « فهل من كاهل أودى إليه إذا ما كان من قدر نزول » .

(٤) أثير « ويرهني » واللسان « عيل » « أراهنه » .

(٥) يعيل : يفتقر . أثير والاتباع وابن دريد ١/٢٠ و ٣/١٤١ « فما » والخالديان « لما » .

٨ ـ وما تدري وان آلقحت شولا(١)

أتلقح بعد ذلك أم تحيل

٩ ـ وما تدري إذا ذمّرت(٢) سقبا

لغيرك أم يكون لك الفصيل

١٠ـ وما تدري وإن (٣) أجمعت أمرا

بأي الأرض يدركك المقيل

١١ـ لعمر أبيك ما يغني مقامي

من الفتيان أنجيه(٤) حفول

---

(١) الشائلة من الابل : التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها ، والجمع شول . وقيل : الشول من الإبل التي نقصت ألبانها وذلك إذا فصل ولدها عند طلوع سهيل فلا تزال شولا حتى يرسل فيها الفحل . وحالت الناقة حيالا : إذا ضربها الفحل فلم تحمل . ويقال فيها : قد حالت ، وأحالت ، وحولت . البحتري وابن دريد « وإن أضربت شولا » والخالديان « إذا أنتجت شولا » .

(٢) القرشي : « التذمير : لمس ولد الناقة إذا خرج فقبض على علباويه (عصبي عنقه) لينظر أذكر هو أم أنثى » . « والذكر من ولد الناقة سقب والأنثى حائل » الصحاح . أثير ورواية القرشي الأخرى « وإن أنتجت سقبا » والخالديان « إذا أنتجت سقبا لأي الناس ينتقل الفصيل » .

(٣) اللسان « عيل » والبحتري « إذا أزمعت » وغ « أزمعت » والجمهرة لا بن دريد « أزمعت . . . . يدركه » والخالديان « إذا أجمعت » ويجوز أن يكون المزاد بالمقتل الموت .

(٤) البخي : من تساره ، والجمع أنجيه . ويقال : ناقة حافلة وحفول بمعنى كثيرة اللبن ولكن هناك رجل حفيل ، وذو حفل وحفلة : مبالغ فيما أخذ فيه . أثير « مكاني من الحلفاء آكلة غفول » وغ « رائحة جهول » واللسان « زمل » « ولا أبيك ما . . . . غنائي . . . . زميل كسول » والتاج « زمل » ولا أبيك مايغني غنائي . . . . زميل كسول « وهي رواية الصحاح باستثناء « فلا » والخالديان « مكاني . . . . زميل كسول »

١٢- يروم(١) ولا يعلّص مشمعلاّ
عن العوراء ، مضجعه ثقيل

١٣- تبوع للحليلة(٢) حيث كانت
كما يعتاد لقحته الفصيل

١٤- إذا ما بتّ أعصبها(٣) فباتت
علّي مكانها الحمّى النسول

١٥- لعلّ عصابها(٤) يبغيك حربا
ويأتيهم بعورتك الدليل

١٦- وقد أعددت للحدثان(٥) حصنا
لو أنّ المرء تنفعه العقول

---

(١) رام الشيء : أراده . وقلص قميصه : شمره . والمشمعل : الرجل الخفيف الظريف أو الطويل . والعوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة . والمضجع كمقعد : موضع الاضطجاع على الأرض . أثير « نؤوم لا يقلص . . . . مع الفتيان » . وغ « نؤوم ما . . . . مستقلا عن الغايات » .

(٢) الحليلة : الزوجة . اعتاد الشيء : صيره عادة لنفسه . واللقحة : اللقوح ويفتح ، وهي الناقة الحلوب أو التي نتجت لقوح إلى شهرين أو ثلاثة ثم هي لبون . أثير « تنزع للجليلة » .

(٣) القرشي : يريد امرأته . . . . وكان أراد الغارة على قومها فلما علمت ذلك تمارضت فبات يعصبها فلما نعس ونام انسلت فأنذرت قومها وكان مرضها خديعة لزوجها » . والنسول : السريعة . غ « إذا باتت . . . . فنامت . . . . الشمول » .

(٤) العصاب : القبض على الشيء كالعصب . بغى الشيء : طلبه . والعورة : الخلل في الثغر وغيره .

(٥) حدثان الدهر : نوبه . والعقول مفرده عقل ، وهو الملجأ والحصن . أثير « ينفعه » وغ « للحدثان عقلا » واللسان « عقل » « عقلا . . . . ينفعه » والتاج « عقل » « تحرزه العقول » والصحاح « عقل » « صعبا » .

١٧- طويل الرأس أبيض مشمخرّا(١)
يلـوح كأنّـه سـيف صقيـل

١٨- جلاه القين(٢) ثمّت لم يشـنه
بناحيـة ولا فيـه فلـول

١٩- هنـالك لا يشـاكلني لئـيم
لـه حسب ألفّ (٣) ولا دخيـل

٢٠- وقد علمت بنو عمـرو بأنّـي
مـن السـروات أعـدل(٤) ما يميل

٢١- ومـا من اخـوة كثروا وطابوا
بناشـئة (٥) لأمّهـم الهبـول

٢٢- ستشكل أو يفـارقها بنوهـا
سريعـاً أو يهمّ بهم قبيـل(٦)

---

(١) السمهودي « مشمخر » .
(٢) القين : الحداد . والفلول جمع الفل ، وهو الكسر والثلمة وما ندر عن الشيء . أثير « جلاه . . . . لم تخنه مضاربه ولا طته » .
(٣) الألف : الدنيء .
(٤) عدل الشيء : قومه . المعاني الكبير « سراة الأوس أنى من الفتيان » والخالديان « سراة الأوس أنى من الفتيان أعدل لا أميل » .
(٥) الناشئة : الحالة الحسناء . أثير . « وما ان . . . . كبروا . . . . . لباقية وأمهم هبول » . والبحتري إذا ما اخوة . . . . فانهم لأمهم » .
والهبول : المرأة التكول .
(٦) القبيل : الجماعة من الثلاثة فصاعدا . أثير « بموت أو يجيء لهم قتول » البحتري « بموت أو يروعهم قتيل » .

٢٣ـ تفهّم أيها الرجل الجهول
ولا يذهب بك الرّأي الوبيل(١)
٢٤ـ فإنّ الجهل محمله خفيف
وإنّ الحلم محمله ثقيل

*

١ ـ ليت حظي من أبي كرب
أن يرد(٢) خيره خبله

**

١ ـ استغن أو مت ولا يغررك ذو نشب(٣)
من ابن عمّ ولا عمّ ولا خال

---

(١) الوبيل : الذي يخاف وباله أي سوء عاقبته .
* غ ٣٩/١٥ وفي الروض ٢٦/١ البيت العجوز من بني سالم اسمها جميلة قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع .
(٢) الروض « أن يسد » .
** م البلدان « زوراء » (١ ـ ٧) و غ ٣٧/١٥ (٤ ، ٥ ، ١) و ٣٨ (١ ، ٢) والعقد ٣١/٣ (٤ ، ١ ، ٦) والبيان ٣٦١/٢ (١ ، ٤ ، ٢) والبخلاء ١٨٢ (١ ، ٤) وحم البحتري ٣٤٤ والصحاح واللسان والتاج « زور » وم البكري ٧٠٥ (٤) والعيون ٢٤٠/١ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٦) وطراز المجالس ١٣٣ (٦) ومجمع الأمثال ٨٣/٢ (٦ ، ١ ، ٤) .
(٣) النشب : المال . ياقوت والميداني « ذو نسبْ » والعقد « فلا يغرنك ذو قربى وذو نسب . . . ومن عم ومن خال » .

٢ – يلوون ما لهـــم عن حقّ أقربهم
وعن عشـــيرتهم والحـــــقّ للوالي(١)

٣ – فاجمـــع ولا تحقرن شيئاً تجمّعه
ولا تضيعنّـــه يومـــا عـــلى حـــال

٤ – انّي أقيم على الزّوراء(٢) أعمرها
ان الكـــريم عـــلى الاخـــوان ذو المال

٥ – لها ثـــلاث بئـــار في جوانبهـــا
في كلهـــا عقـــب(٣) تســـقى باقبال

٦ – كـــلّ النداء إذا ناديت يخذلني
إلاّ نـــدائي(٤) إذا ناديـــت يا مـــالي

---

(١) الوالي : المتحكم في الشيء المتسلط عليه . ياقوت « ماعندهم عن حق جارهم . . . . والمال بالوالي » والبيان « ماعندهم من حق أقربهم ومن . . . . والمال بالوالي » والعيون « ماعندهم من حق أقربهم وعن صديقهم والمال للوالي » .

(٢) الزوراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت ببئر كانت فيها . والزوراء : البئر البعيدة القعر « معجم البلدان – ياقوت » » « ان الحبيب إلى الاخوان » والعقد والميداني » اني مقيم . . . ان الحبيب إلى الاخوان » والعيون « ولا أزال » والبيان « انى أكب » والبحتري « ولن أزال . . . . ان الحبيب إلى الاخوان » والبخلاء « انى أكب . . . . على الأقوام ذو المال » والبكري » انى مقيم » .

(٣) غ « قال الزبير : العقب : الذي في أول المال عند مدخل الماء » وفي اللسان « العقبة : الدولة ، والعقبة النوبة ، تقول : تمت عقبتك ، والعقبة أيضاً : الإبل يرعاها الرجل ، ويسقيها عقبته أي دولته ، كأن الإبل سميت باسم الدولة » « والعقب : نوب الواردة ترد قطعة فتشرب ، فاذا وردت قطعة بعدها فشربت ، فذلك عقبتها » . وأقبال الجداول : أوائلها : ورؤوسها . ياقوت « بها ثلاث بناء . . . . فكلها عقب » . بناء : تحريف .

(٤) الطراز « الا النداء » .

٧ ـ ما ان أقول لشيء حين أفعـــله

لا أستطيع ولا ينبـــو(١) عـــلى حـــال

*

١ ـ يابنيّ التخـــوم(٢) لا تظلموهـــا

إنّ ظلـــم التخـــــوم ذو عقـــــــال

*

١ ـ وإنمـــــا النّخـــــل من الفسيل

٢ ـ كـــذلك القـــرم(٣) من الأفيـــل

---

(١) نبأ الشيء عن ينبو : أي نجا في وتباعد .
* اللسان « عقل » و « تخم » « قال أحيحه بن الجلاح ويقال هو لأبي قيس ابن الأسلت » . والتاج « عقل » و « تخم » « وأنشد الجوهري لأبي قيس بن الأسلت » والصحاح « عقل » و تخم » بدون . والأساس « تخم » بدون . وهو من خمسة عشر بيتاً في سيرة ابن هشام ٥١١/١ لأبي قيس صرمة بن أبي أنس البخاري ، وهو الراجح ، والجمهرة ٧/٢ (١٢) وجاءت الأبيات كاملة في سيرة ابن كثير ١٩٠/٢ وقد نسبها لأبي قيس بن الأسلت وهو شاعر أوسي جاهلي . وقد التبس في ذهنه أبو قيس صرمة بن أبي أنس بأبو قيس صيفي بن الأسلت .
(٢) التخوم جمع تخم ، مثل فلوس وفلس ، وهي الحدود . والعقال : ظلع يأخذ في قوائم الدابة . وداء عقال : لا يبرأ منه . وهناك صورة أخرى للبيت « لا تخزلوها انخزل » .
* الجمهرة ٣٩/٣ .
(٣) القرم : الفحل من الإبل . والأفيل: صغار الإبل ، والجمع افال وأفائل .

*

١ – تأبّـــري(١) يـــا خـــيرة الفسيـــل

٢ – تأبّـــري من حنـــذ(٢) فشـــولي

٣ – إذ ضـــنّ أهل النخل بالفحول(٣)

٤ – تروّحـــي(٤) أجـــدر أن تقيـــلي

٥ – غـــدا بجنـــبي بـــارد ظليـــل

*

١ – أن تـــرد حـــربي تلاق فـــتى

غـــير مملـــوك ولا برمـــه(٥)

---

* اللسان « فحل » (١ – ٣) و « شول » (١ ، ٢) والتاج « أبر » (١ – ٣) و « شول » (١ ، ٢) و « فحل » (١ – ٣) والصحاح « حنذ » (١ – ٣) و « ابر » (١ ، ٣) و « شول » (١ ، ٢) و « فحل » (١ ، ٣) وفي هـ « عن نسخة زيادة البيت » (٢) وشرح أدب الكاتب ١٨٨ وم البلدان (حنذ) وم البكري ٤٧١ والوفا ٢٩٦/٢ (١ – ٣) والأساس « فحل » ١٨٧/٢ (٢ ، ٣) والإيضاح ٢٢٤ (٤ ، ٥) .

(١) تأبري : اقبلي الأبار ، على وزن ازار ، وتأبير النخل تلقيحه .

(٢) حنذ ، بالتحريك والذال معجمة : قرية لأحيحة بن الجلاح من أعراض المدينة : أنظر ياقوت . وشولى : ارتفعي وطولى . الجواليقي « من جند » وياقوت والسمهودي « شولى » .

(٣) الفحول ، جمع فحل ، وهو الذكر من النخل كالفحال .

(٤) تروح النبت : طال .

* اللسان والتاج « برم » (١) و « حرم » (٢) .

(٥) اللسان « قال ابن سيدة : فإنه عنى بالبرمة ، والهاء مبالغة ، وقد يجوز أن يؤنث على معنى العين والنفس . والبرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر » . التاج « غير مملول » .

٢ – قسما ما غير ذي الذب
أن نبيح الخدن(١) والحرمه

*

١ – تذر(٢) العناجيج(٣) الجياد بقفرة
مرّ الدّموك بمحصد ورجام

*

١ – قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا
سكن المدينة عن زراعة(٤) قوم

---

(١) الخدن : الحبيب والصاحب للمذكر والمؤنث والجمع أخدان . وجاء في اللسان « قال ابن سيدة : فإني أحسب الحرمة لغة في الحرمة ، وأحسن من ذلك أن يقول ، والحرمة ، بضم الراء ، فتكون من باب ظلمة وظلمه ، أو يكون أتبع الضم الضم للضرورة . . . . » .

* المعاني الكبير ٧٨ .

(٢) يصف فرسا .

(٣) العناجيج ، جمع عنجوج ، وهو الرائع من الخيل . وقال ابن قتيبة « والدموك : بكرة سريعة الدوران . محصد : حبل شديد الفتل والرجام حجر يشد في طرف الحبل ثم يدلى في البئر يخضخض به الحمأة حتى تثور ثم يستقى ذلك الماء فيستنقى البئر ، وهذا إذا بعدت فلم ينزل إليها » .

* الروض ٢/٤٥ وقد نسبه لأحيحة « وقيل : هو لأبي محجن الثقفي » .

(٤) الفوم : البر .

*

١ – والصّمت خير(١) للفتى
ما لم يكن رعيّ يشينه
٢ – والقول ذو خطل إذا
ما لم يكن لبّ يعينه

**

١ – والمرء قد يرجو الرّحا
ء مغيّبا والموت دونه

***

١ – انّي بنيت واقما والضّحيان
٢ – والمستظلّ قبله بأزمان

****

١ – بنيت بعد مستظل ضاحيا
٢ – بنيته بعصبة من ماليا
٣ – للستر(٢) ممّا يتبع القواضيا
٤ – أخشى ركيبا(٣) أو رجيلا عاديا

---

* البيان ٢/٢٧٥ و ١/٥ .

(١) جا « أجمل بالفتى » .

** حم البحتري ٣٤٥ .

*** خلاصة الوفا ٢٦٨ .

**** غ ١٥/٤٨ والخزانة ٣/٣٢٨ (١– ٤) والجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ٧٨ (٢ ، ٤) واللسان « رجل » (٢ ، ٤) .

(٢) الرواية الأخرى للخزانة « والسر » ورواية غ « القواصيا » والقاضية : المنية والموت . أنظر اللسان .

(٣) الركيب : مصغر ركب ، وهم الجماعة الراكبون ، والرجيل : مصغر الرجل ، بالفتح ،وهم الجماعة الراجلون . الزمخشري والخزانة « غاديا » .

خاتمة

استعرضنا في هذا العمل حياة أحيحة بن الجلاح الأوسيّ وخصائص شعره وحاولنا جمع ديوانه وتحقيقه وشرحه وتبويبه . نسأل الله عز وجل التوفيق والسّداد في القول والعمل إنه سميع مجيب . والحمد لله رب العالمين .

فهرست المصادر والمراجع

ابن الأثـــير : (علي بن محمّد (الكامل في التاريخ ، بولاق ١٢٩٠ هـ . وليدن ١٨٦٩ م .

ابن حبيب : (محمد بن حبيب) كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه ، نوادر المخطوطات ١٩٥٤ م .

ابن دريـــد : (محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري) جمهرة اللغة ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ١٣٤٤ – ١٣٤٥ هـ .

ابن عبد ربه : (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ (العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م – ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م .

ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري) عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م — ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م .

ابن كثير : (اسماعيل بن عمر) السيرة النبوية ، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٤ م .

ابن منظور : (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (لسان العرب ، بيروت ١٩٥٥ — ١٣٧٤ هـ .

ابن هشام : السيرة النبويّة . تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي . مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م .

أبو تمّام : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧١هـ ١٩٥١ م .

أبو الطيب اللغويّ : (عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي)

الاتباع ، تحقيق عز الدين التنوخي .
دمشق ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م .

أبو الفـــرج : (على بن الحسين الأصفهاني) الأغاني .
بولاق ١٢٨٤ هـ – ١٨٦٨م ودار الكتب
المصرية ١٩٢٧ – .... والجزء الحادي
والعشرون طبعة لندن ١٨٨٨م .

الأصمعـــيّ : (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد
الملك) الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد
شاكر وعبد السلام هارون .
دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م
النبات والشجر ، تحقيق أوغست هفنر
بيروت ١٩٠٨م .

الأنصـــاري : (عبد القدوس) آثار المدينة المنورة ،
دمشق ١٣٥٣هـ – ١٩٣٥ م .

الأنطــاكي : (داود بن عمر) تزيين الأسواق ، بولاق ،
١٢٩١هـ .

البحـــتري : (أبو عبادة) الحماسة ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ١٩٢٩م .

البغـــدادي : (عبد القادر بن عمر) خزانة الأدب ولب

لباب لسان العرب ، القاهرة ١٣٤٨هـ – ١٣٥١هـ .

البكـــري : (أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسيّ) معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا . الطبعة الأولى ١٣٦٤ ، ١٩٤٥م – ١٣٧١هـ ، ١٩٥١م .

الجـــاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر) البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ذخائر العرب ١٩٥٨م ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ – ١٩٥٠ م ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، البابي الحلبي ، ١٩٣٨ – ١٩٤٧ م .

الجواليـــقي : (أبو منصور ، موهوب بن أحمد الجواليقي (شرح أدب – الكاتب ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

الجوهـــري : (اسماعيل بن حمـــاد) تاج اللغة وصحاح العربية ، المعروف بصحاح اللغة ، بولاق ١٢٨٢هـ – ١٨٦٥م .

الخالــديان : (أبو بكر ، محمد الخالدي ، وأبو عثمان ، سعيد الخالدي) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدّمين ، تحقيق محمد يوسف ، ١٩٥٨م .

الخفــاجي : (شهاب الدين ، أحمد بن محمد) طراز المجالس ، القاهرة ١٢٨٤هـ .

الراغب الأصفهاني : (أبو القاسم حسين بن محمد) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، بيروت ١٩٦١م .

الزبيــدي : (محمــد مرتضى الحسيني الواسطي) تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الأولى ، مصر سنة ١٣٠٦هـ – ١٣٠٧هـ .

الزمخشري : (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) أساس البلاغة ، دار الكتب ، القاهرة ١٣٤١هـ ، ١٩٢٢م الجبال والأمكنة والمياه ، الطبعة الثانية ، العراق ، النجف ١٣٥٧هـ .

زيــدان : (جرجي) تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة ١٩٥٧م .

السمهــودي : (علي نور الدين أبو الحسن بن عبد الله) خلاصة الوفافي أخبار دار المصطفى ، مكة

المكرمة ١٣١٦هـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى مصر ١٣٢٦هـ .

السـهيلي : (أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي) الروض الأنف ، مصر سنة ١٣٣٢هـ ، ١٩١٤ م

الفـارسي : (أبو علي) الإيضاح . تحقيق د. حسن شاذلي فرهود (مخطوط) .

الفيروز أبادي : (مجد الدين) القاموس المحيط . مصر .

القـرشي : (أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب) جمهرة أشعار العرب ، بولاق ، الطبعة الأولى ١٣٠٨هـ .

المـبرد : (أبو العباس محمد بن يزيد) الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة . مصر ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦م . وكذلك بتحقيق د. زكي مبارك ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٧م . مطبعة البابي الحلبي بمصر .

المرزوقي : (أبو علي أحمد بن محمد الأصفهاني)

الأزمنة والأمكنة ، الهند ، حيدر آباد ١٣٣٢ هـ .

الميـــداني : (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري) مجمع الأمثال ، بولاق ١٢٨٤هـ.

ياقـــوت : (ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ ــ ١٩٠٧م .

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

١ ـ سوق عكاظ في التاريخ و الأدب	إعداد لجنة الآثار التاريخية بنادى الطائف الأدبي
٢ ـ البحث عن ابتسامة	محمد المنصور الشقحاء
٣ ـ لكل مثل قصة	مناحى ضاوى القثامى
٤ ـ شبه الجزيرة العربية تهدى الحكمة للعالم (محاضرات)	حمد الزيد
٥ ـ مسكينة	سعد الثوعى الغامدى
٦ ـ رحلة العمر	على حسين الفيفى
٧ ـ هل للشعر مكان في القرن العشرين	د. غازي القصيبي
٨ ـ خطرات في الأدب و الفلسفة	حمد الزيد
٩ ـ فلسفة السلام	هشام ناظر
١٠ ـ معـاناة	محمد المنصور الشقحاء
١١ ـ المضيفات و الممرضات في الشعر العربي المعاصر	عبد الرحمن المعمر
١٢ ـ ملف نادى الطائف الأدبي الأول	إعداد النادى
١٣ ـ أجنحة بلا ريش	حسين سرحان
١٤ ـ نظرات في الأدب و التاريخ و الأنساب	على حسن العبادى
١٥ ـ رجل على الرصيف	عبد الله سعيد جمعان
١٦ ـ صور من الحياة و المجتمع	على خضران القرني
١٧ ـ ذكـريات	أحمد على
١٨ ـ خواطر في التنمية (محاضرة)	د. غازي القصيبي
١٩ ـ حديث في الإعلام (محاضرة)	د. محمد عبده يماني

٢٠ ــ البيت أولاً (محاضرة) — هشام ناظر
٢١ ــ جوانب صحية في التشريع الإسلامي (محاضرة) — حمد الدعيج
٢٢ ــ المحراب المهجور — إبراهيم الزيد
٢٣ ــ كتاب القصة (كتاب دورى) — محمد المنصور الشقحاء
٢٤ ــ مقالات في الأدب — إعداد النادى (كتاب دورى)
٢٥ ــ عذراء المنفى — إبراهيم الناصر
٢٦ ــ المختصر من كتاب نشر النور والزهر ج ١ ، ٢ (تحقيق) — محمد سعيد العامودى وأحمد على
٢٧ ــ ملف نادى الطائف الأدبي الثاني — إعداد النادى
٢٨ ــ معجم معالم الحجاز ج (١) — عاتق بن غيث البلادى
٢٩ ــ مذكرات الخط العربي — جلال أمين صالح
٣٠ ــ في الأدب والحرب — حسين سرحان
٣١ ــ أهــازيج — محمد إبراهيم جدع
٣٢ ــ نافذة على الحائط المهدوم — هند صالح باغفار
٣٣ ــ حكاية حب ساذجة — محمد منصور الشقحاء
٣٤ ــ الرواد الثلاثة — عبد الله خياط
٣٥ ــ من حديث الكتب — محمد سعيد العامودى
٣٦ ــ دريد بن الصمة — مناحي ضاوي القثامي
٣٧ ــ كتاب القصة (٢) — محمد المنصور الشقحاء
٣٨ ــ مقالات في الأدب (٢) — إعداد النادي
٣٩ ــ ألوان من الأدب ج (١) — شعبان جبريل عبد العال
٤٠ ــ هتاف الحياة — عبد الله جبر
٤١ ــ كنز الإنسان ومعجم الآداب — حمد الحقيل
٤٢ ــ القصــاص — عبد الله سعيد جمعان

٤٣ ـ معجزات القرآن الكريم البيانية (محاضرة)	د. حسن محمد باجودة
٤٤ ـ الصمت والجدران	سباعي أحمد عثمان
٤٥ ـ حين ينزف الأفق	إصلاح سهيل
٤٦ ـ الطائر الغريب	حسين سرحان
٤٧ ـ ملف نادى الطائف الأدبي الثالث	إعداد النادى
٤٨ ـ في علم العروض	د. عبد الهادى الفضلى
٤٩ ـ أحيحة بن الجلاح	د. حسن محمد باجودة
٥٠ ـ المسحوق	محمد حمد الصويع
٥١ ـ سوق الخميس	خليل ابراهيم الفزيع
٥٢ ـ دعونا نمش	احمد سباعى
٥٣ ـ الموسوعة الأدبية	عبد السلام الساسى
٥٤ ـ كتاب القصة (٣)	محمد المنصور الشقحاء
٥٥ ـ أغنيه الشمس	ابراهيم محمد الزيد

شركة مكة للطباعة والنشر
MECCA PRINTING & PUBLISHING CO.